الأخلاق في الفكر الإســـــلامي

د. عفاف مصباح بلق ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمة:

كان العرب قبل الإسلام أحسن الناس خلقًا، وعندما جاء الدّين الإسلامي لم يهدم جميع القيم الأخلاقية التي كانت قبله، بل صحح مسارها حيث أعطى أهمية كبيرة ومنزلة عظيمة للأخلاق؛ لما لها من تأثير كبير في حياة الأفراد والأمم والشعوب، فهي من أفضل العلوم وأعلاها قدرًا، وأنَّ الالتزام بها هو سبب تقدم الأمم والشعوب، وانهيار الأخلاق هو سبب تأخرها، ولذلك اعتنت بها الشريعة الإسلامية عنايةً فائقةً، وقد ظهر ذلك من خلال عناية القرآن الكريم والسنة النبوية، وارتبطتِ الأخلاق الإسلامية بالمصـادر الأساسـية للتشريـع الإسلامي، وهـما القرآن الكريم والسـنة النبوية فهي جوهر ولب الدين، فهي تحدد علاقة الفرد مع نفسه ومع ربه ومع الآخرين.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 ـ ما المقصود بالأخلاق لغةً واصطلاحًا؟

2-هل اتفق فلاسفة اليونان على تعريف موحد للأخلاق؟

3- ما مصادر الأخلاق في الفكر الإسلامي؟

4- هل هناك اختلاف في مفهوم الأخلاق بين علماء الكلام؟

5- ما موقف المفكرين المسلمين من الأخلاق؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث إلى حاجة الدّراسات الإسلامية لتوضيح مفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي وإثراء المكتبة الإسلامية بموضوع مرتبط بالقيم والمبادئ الإسلامية النبيلة، فهي دعوة إلى طاعة الله في أوامره واجتناب نواهيه، وإلى التخلُّق بأخلاق الرسول- صلي الله عليه وسلم -، ولتعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم وهو أشرف الكتب، والاستدلال بالأحاديث الشريفة وتخريجها، وإعطاء صورة للقارئ للدور البارز الذي قام به المفكرين المسلمين في تعزيز مكانة الأخلاق في التربية، وبيان دورها في

بناء وإصلاح الفرد والمجتمع، فلابدَّ من الرجوع إلى الماضي وإبراز دور الإسلام والمفكرين المسلمين في إثراء الحضارة الإنسانية، وترجع أهميته ـ أيضًا- في أنَّ موضوع الأخلاق صار موضوعًا مهملًا لابدَّ من دراسته والاهتمام به، فنحن أحوج إليه في هذا الزمن الذي تضاءلت فيه القيم الأخلاقية وضعفت فيه النفوس، والبعد عن أخلاقنا الإسلامية الصحيحة.

أهداف البحث:

1- التعرف على مفهوم الأخلاق.

2- يهدف البحث إلى توضيح اختلاف فلاسفة اليونان في تعريف الأخلاق.

3- تأكيد الدين الإسلامي على الأخلاق والدعوة إليها، وتوضيح أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى مكارم الأخلاق.

4- يُوضح البحث الاختلاف في مفهوم الأخلاق عند علماء الكلام.

5- كما يهدف البحث إلى إبراز دور المفكرين المسلمين (ابن مسكويه والغزالي) في إثراء الرصيد الإسلامي والإنساني في مجال التربية والأخلاق، والتي ترجع إلى أصول دينية إسلامية.

منهجية البحث:

اعتمدتِ الباحثة في هذا البحث على المنهج التحليلي عند الدراسة في فهم وتحليل النصوص والأفكار التي هي السبيل للتوضيح والاستنباط، و- أيضًا - المنهج المقارن في مقارنة ما أنتجه النص القرآني والسنة النبوية، ومقارنة ما أنتجه فلاسفة اليونان، والمنهج النقدي لبيان قصور تطبيق جميع مكارم الأخلاق على أرض الواقع.

الدراسات السابقة:

1- دراسة : عدنان الحلبي العلمي 2014 (الأخلاق القرآنية وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية)، هدفت هذه الدراسة إلى بيان الأخلاق القرآنية وأنواعها، وأهميتها في بناء المجتمعات الفاضلة، وتوثيق مكانتها، كعامل أساسي لانتشار هذا الدين العظيم في أرجاء المعمورة، بما تحويه من مقومات الدعم والتأثير، ومبررات النجاح والفلاح في تحقيق المقاصد السامية للدعوة، وممَّا تتضمنه من استجابة لنوازع الفطرة البشرية، وما تحمله من معانٍ وقيمٍ إنسانيةٍ فاضلةٍ، تتلاقي مع العنصر الإيجابي للدوافع البشرية، وتتوافق مع السجايا الأصلية لنوازع الفطرة السليمة.

2- **دراسة:** ابتهاج إبراهيم أمين 2004م (الأخلاق في الفكر الإسلامي) هدف هذا البحث إلى دراسة الأخلاق في الفكر الإسلامي، متناولين الحديث فيها عن اثنين من أبرز علماء

الإسلام وهو الإمام المحاسبي، ذلك الإمام الذي يعدُّ قمةً شامخةً من القمم الإسلامية التي أثرتِ التراث الإسلامي، بحث عن علاج باطنه معتمدًا في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله، أما الفيلسوف ابن مسكويه فهو وبالرغم من تناوله للأخلاق من جانب فلسفي خالص إلَّا أنَّنا نعتبره من أفضل فلاسفة المسلمين.

فيعتبر هذا البحث مجهودًا علميًا هدف إلى دراسة مساهمة أوائل علماء المسلمين في الفكر الأخلاقي من خلال اختيار هذين العالمين.

3-دراسة: محمد علي ميرزائي خريف 2021م / 1442 هـ (المرجعيّة الأخلاقيّة للفكر الإسلامي)، ويهدف هذا البحث إلى بيان المرتكزات الكبرى للمرجعيّة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي؛ ليُؤكّد على ثوابت عقائديّة ترى إلى الأخلاق كركنٍ أساسيٍّ في الإسلام. وانطلاقًا من قيام أصل البعثة النبويّة الشريفة على مكارم الأخلاق، ويعمل على تأصيل هذه القاعدة التأسيسيّة في إطار التحديات المعرفيّة التي تفترضها النسبيّة الأخلاقيّة في الفكر الغربي الحديث. وما يترتّب عليها من آثارٍ وتداعياتٍ على مجمل القيم الإنسانيّة المعاصرة.

تعقيب على الدراسات السابقة:

هذه الدراسة دراسة عامة لمفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي، وقد عرضت الموضوع عرضًا متكاملًا، فبدأت بتوضيح مفهوم الأخلاق لغةً واصطلاحًا، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي الفكر اليوناني، وتوضيح موقف بعض الفرق الكلامية، وبعض نماذج فلاسفة الإسلام من الأخلاق، في حين الدراسات السابقة لم تتناول هذه الجوانب، فقد اقتصرت على جوانب معينة فقط، فبعضها اقتصر على مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم وتوضيح الحسن والقبح في القرآن الكريم، وعند بعض الفرق الكلامية، وبعضها على الجانب العقائدي فقط وبعضها على الجانب الفلسفي، فدراسة الباحثة لم تقتصر على جانب دون الآخر، حيث تناولتِ الأخلاق في الفكر الإسلامي من جميع جوانبه.

تقسيمات البحث:

وقد تمَّ تقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، ففي المبحث الأول مفهوم الأخلاق - وفيه مطلبان: المطلب الأول المفهوم اللغوي للأخلاق، والمطلب الثاني المفهوم الاصطلاحي للأخلاق، المبحث الثاني الأخلاق عند فلاسفة اليونان: وفيه أربع مطالب: المطلب الأول الأخلاق عند السفسطائيين، المطلب الثاني الأخلاق عند سقراط، المطلب الثالث الأخلاق عند أفلاطون، المطلب الرابع الأخلاق عند أرسطو، المبحث الثالث الأخلاق

في القرآن الكريم والسنة النبوية وفيه مطلبان: المطلب الأول الأخلاق في القرآن الكريم، المطلب الثاني الأخلاق في السنة النبوية، المبحث الرابع الأخلاق عند علماء الكلام وفيه مطلبان: المطلب الأول الأخلاق عند المعتزلة، المطلب الثاني الأخلاق عند الأشاعرة، المبحث الخامس الأخلاق عند فلاسفة الإسلام وفيه مطلبان : المطلب الأول الأخلاق عند ابن مسكويه، المطلب الثاني الأخلاق عند الغزالي، ثم نتائج البحث، التوصيات، الهوامش.

المبحث الأول –المفهوم اللغوي والاصطلاحي للأخلاق:

وفي هذا المبحث سنوضح مفهوم الأخلاق لغةً واصطلاحًا حتى يكون (الأخلاق في الفكر الإسلامي) قائم على تصورٍ واضحٍ لمفهومه.

أولًا- المفهوم اللغوي: الأخلاق في اللغة جمع خلق، وهي العادة والسجية والطبع، والمروءة والدين، وعند القدماء ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية وفكر وتكلف، فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقا، فالأخلاق لفظ يطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة، ولذا يُسمَّي علم الأخلاق بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفة الأخلاق، أو الحكمة العملية أو الحكمة الخلقية، ويصبح المقصود به معرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، لتزكو بها النفس ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس، ويميز جميل صليبا بين عدة معان منها: الأخلاق النسبية، والأخلاق المطلقة، والأخلاق النهائية، والأخلاق المؤقتة، وأخلاق المواقف، والأخلاق المعلقة.[1]

وعرف الفيرزوآبادي الخلق في القاموس المحيط: "والخُلُقُ بالضم، وبضمتين: السجية والطبع، والمروءة والدين، وجمعه أخلاق"[2]، وفى لسان العرب لابن منظور عرف الخلق بأنه "الدين والطبع والسجية؛ وحققته أنَّه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ممَّا يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة"[3]، ويتضح من التعريف اللغوي أنَّ الأخلاق سجية وصفة متأصلة في النفس.

ثانيا –المفهوم الاصطلاحي: وضع العلماء والفلاسفة عدة تعريفات للأخلاق نذكر منها: الخلق عند ابن مسكويه "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذا الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدني شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب.. ومنها ما يكون بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكًا وخلقًا "[4]، ويعرفها

الغزالي بأنَّها "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإنَّ كانت الهيئة بحيث عنها تصدر الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سُميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"[5]، وعرف ابن سينا الأخلاق "ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم روية"[6]، وعند الماوردي "هي غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار"[7]، وعرفتِ الأخلاق بأنَّها "هيئة نفسية ثابتة تصدر عنها الأفعال الحميدة من غير تكلف أو تعسف"[8]، وكما عرفت أيضًا "حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية، وجمعه: أخلاق، والأخلاق علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: القسم الأول ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه.

القسم الثاني: ما يكون مستفادا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه حتى يكون ملكة وخلقا"[9]، ويعرفه أحمد زكي بدوي في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: بأنَّ علم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الأحكام القيمة التي تنصب على الأفعال الإنسانية من ناحية أنَّها خير أو شر، والسلوك الخلقي هو السلوك الذي اصطلح عليه المجتمع وأقره، ويتكون هذا السلوك من مجموعة القواعد التي تبين للأفراد كيف يجب أن يتصرفوا في الحالات والمواقف التي تعرض له دون أن يخالفوا في ذلك ضمائرهم أو العرف السائد في مجتمعهم.[10]

يتضح لنا من هذه التعريفات أنَّ هناك تقارب في المعني بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، بأنَّ الأخلاق هي السجية أو الطبع أو حال أو هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال الفطرية والمكتسبة، من غير فكر أو روية ويتصف بها الإنسان وتصبح أفعاله حسنة أو قبيحة.

فالأخلاق هي مجموعة من القيم والمبادئ التي حثَّ عليها ديننا الإسلامي ودعانا للتمسك بها لتنظيم حياة الفرد والمجتمع، وهي إما أن تكون محمودة وهي التي دعانا إليها الإسلام وإلى التمسك بها، أو مذمومة وهي التي نهانا عنها.

المبحث الثاني-الأخلاق في الفكر اليوناني:

قبل الحديث عن الأخلاق في الفكر الإسلامي سنوضح الأخلاق عند اليونان، حيث اهتمَّ فلاسفة اليونان بالأخلاق اهتمامًا كبيرًا، فكانت من بين أهم الموضوعات التي أخذت اهتمامًا

كبيرًا في الفلسفة اليونانية، وقد اختلف مفهوم الأخلاق عند اليونان من مفكر لآخر وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث.

أولًا ـ الأخلاق عند السوفسطائيين [11]: شكَّ السوفسطائيون في الوجود والقيم الأخلاقية، فلا وجود لحقيقة ثابتة مطلقة ولا خير مطلق، فبوتاغوراس [12] صاحب مقولة " الإنسان مقياس الأشياء جميعًا هو مقياس وجود ما يوجد منها، ومقياس لا وجود مالا يوجد منها"[13] فليس هناك مقياس نعرف به الخير والشر، أو الحق والباطل، فلا وجود لحقيقة ثابتة ولا معرفة ثابتة، لأنَّها تتغير بتغير الأفراد والزمان والمكان، فالأخلاق عند السوفسطائية جزئية ونسبية وليست ثابتة.

ثانيا ـ الأخلاق عند سقراط[14]: حاول سقراط إعادة بناء الأخلاق التي تداعت على يد السوفسطائيين، فاهتم بالأخلاق وانتقد قول السفسطائيين للقيم، وقال بوجود قيم ثابتة ومطلقة، للوصول إلى اليقين والابتعاد عن الشك، وانحسرتِ الفلسفة عنده في دائرة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهم الإنسان، وقال إنَّ الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي، حاول إقامة حياة الأفراد على قيم عليا ثابتة، والابتعاد عن الرذيلة، فاليقين عنده من القيم الثابتة ويمكن الوصول إليها عن طريق العقل، والإنسان يريد الخير دائمًا، ويهرب من الشر بالضرورة، ولا يعقل أنَّه يرتكب الشر عمدًا، وعلى ذلك فالفضيلة علو والرذيلة جهل، وهذا قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ إيمانه بالعقل وحبه للخير.[15]

ثالثا ـ الأخلاق عند أفلاطون [16]: رفض الأخلاق السوفسطائية متفقًا مع أستاذه سقراط، واهتم بالأخلاق اهتمامًا كبيرًا، وقسَّم الأخلاق إلى ثلاث أقسام: فالبحث في الأخلاق يتجه أولًا: إلى البحث في الخير الأسمى، وثانيًا: يتجه إلى البحث في تحقيق هذا الخير الأسمى في جزئياته، وذلك عن طريق الفضائل، وثالثًا: يتجه البحث الأخلاقي إلى تحقيق الخير في الدولة أي السياسة[17] فالأخلاق عند أفلاطون ترتبط بالفلسفة والنفس وأقسامها و السياسة. تقوم فلسفة أفلاطون على فكرة الخير، فهو يرى أنَّ أي معرفة أيِّما كانت رياضية أو علمية أو أخلاقية، لا قيمة لها مالم تكن تهدف في آخر الأمر إلى تحقيق الخير أو مالم ينظر إليها من خلال ضوء فكرة الخير ومدى قربها أو ابتعادها عنه؛ لأنَّ الخير هو المعيار المطلق الذي تقوم عليه المعرفة، كما أنَّه المعيار المطلق الذي نقيس به الوجود، [18] فالخير عند أفلاطون هو غاية السلوك الخلقي الذي هو السعادة.

ويقسم أفلاطون الوجود إلى عالم الصور وهو عالم المثل، العالم الحقيقي وعالم المحسوسات العالم المادي، فالوجود الحقيقي عند أفلاطون هو وجود الصور وكل ما يتصل بهذا الوجود هو الوجود الحقيقي، أما ما يتعلق بالوجود المحسوس فلن يكون خيرا بالمعنى الصحيح. (19)

ويُطلق أفلاطون مفهوم الخير على الله، "إنَّ الله هو الخير وأنه يصدر عنه الوجود لأنَّه خير والخير مصدر الفيض والوجود، وعن هذا الجود ينشأ العالم "،(20) فالله هو الخير وهو المثال الكامل والمعقول" فهذه القوة التي تهب للموضوعات ما فيها من معرفة يقينية، فتجعلها معروفة وتهب لعارفها قوة الإدراك، هي ما يجب اعتباره "صورة الخير" الجوهرية، ويجب أن تحسبها أصل العلم والمعرفة، على قدر ما يتيح إدراك الحقيقة، ومع أنَّ المعرفة والحقيقة كلتيهما جميلة جدًا، فمِن الصواب أنَّ تحكم إنَّ الخير شيء ممتاز عنهما ويفوقهما جمالًا.. كذلك العلم والحقيقة، فإنَّ الصواب حسبانهما مثل الخير، ولكن من الخطأ اعتبار أحدهما الخير نفسه؛ لأنَّ قيمة الخير أسمى منهما جدًا،.. فسلم إذا أنَّ موضوعات بالقياس نفسه تستمد من الخير الأعظم يقينية وجودها وجوهريته لا معروفيتها فقط، مع أنَّ الخير نفسه أسمى من أن يوجد مع الوجود الحقيقي بل هو يفوقه فعلا قوة وسموا"، (21) فالخير عند أفلاطون هو العلة الأولى لهذا العالم هو المثال الأول والأعلى أو الخير الأسمى (الله).

كما ترتبط الأخلاق عند أفلاطون بالنفس، فسلوك الإنسان وأفعاله مصادرها ثلاث قوي: الشهوة والعاطفة والعقل، أما الشهوة فمقرها أسفل البطن وهي مستودع النشاط، وأما العاطفة فمقرها القلب وهي تزود الإنسان في سعيه بالقوة والحرارة، وأما العقل فهو في الرأس وهو ربان السفينة يهديها إلى سواء السبيل، وهذه القوة متصلة مع بعضها فمن مجموعها تتكون النفس: فالشهوة تسعي والعاطفة تغذيها والعقل يهديها،(22) النفس الإنسانية عند أفلاطون هي مقر المثل الأخلاقية وهي أزلية وقسم النفس إلى ثلاث: قوى العاقلة، وهي أرقى هذه القوى والغضبية والشهوانية، وهذا التناسق والانسجام بين هذه القوى يحقق لها الخير والسعادة.

وكما قسم النفس إلى ثلاث قوى قسم الفضائل إلى ثلاث فضائل، تدبر قوى النفس: الحكمة فضيلة العقل تكمله بالحق، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء وتترك النفس هادئة والعقل حرًّا، ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة، وهي فضيلة القوة الغضبية، تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم إغراء اللذة، والحكمة أولى الفضائل فلولا الحكمة لجرتِ الشهوانية على خليقتها، وانقادت لها الغضبية، وإذا ما حصلت هذه الفضائل

الثلاث للنفس فخضعتِ الشهوانية للغضبية والغضبية للعقل تحقق في النفس النظام والتناسب، ويسمي أفلاطون حالة التناسب هذه بالعدالة، فالعدالة هي اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة. [23]

ولكي تصل النفس إلى تحقيق السعادة والفضيلة وتحقيق الخير الأسمى في عالم المثل لابد أن تتخلص النفس من سجنها وهو البدن "وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد.. واعتياد الروح أن تجمع نفسها وتحصرها في نفسها بعيدًا عن مطارح الجسد جميعًا وانعزالها في مكانها الخاص في هذه الحياة الأخرى ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا ومكانها من أغلال البدن.. وماذا يكون الموت سوى هذا الانفصال نفسه وتحلل الروح من الجسد"، [24] ربط أفلاطون بين ثنائية النفس والجسد والأخلاق، فهو يرى أنَّ النفس كانت موجودة في عالم المثل، ونتيجة لخطأ ارتكبته رجعت إلى الأرض، فكلما ابتعدتِ النفس عن سجنها وهو البدن، وتخلصت من الشهوات والأدران حققت أكبر قدر من الخير، لذلك لابد أنَّ تتحرر منه؛ لأنَّه حاجز بينها وبين الفضائل والأخلاق للعودة إلى عالمها الأصلي عالم المثل.

وهناك ارتباط بين السياسة عند أفلاطون والأخلاق، فالسياسة امتداد للأخلاق، فما ينطبق على الفرد ينطبق على الدولة، فالعدالة تندرج ضمن مجال الأخلاق وضمن مجال السياسة أيضًا، وهي حالة من التناسب والانسجام بين الفضائل الأربع، فمن الممكن اتخاذ رأيه على المستوى الفردي نقطة بداية لبحث مذهبه الأخلاقي، عندئذٍ سنجده يطبق على الفرد نفس المبدأ الذي طبقه على الدولة، وهو مبدأ أداء كل لوظيفته الطبيعية فالفرد - كالدولة - ليس وحدة متجانسة، وإنَّما هو مركب معقد ينطوي على أجزاء مثلما تنطوي الدولة على طبقات. [25]

فالأخلاق لا تقتصر على الفرد لأنَّه يعيش مع أقرانه في مجتمع، فلا يمكن بناء مجتمع دون تنشئة الفرد وتربيته تربية قائمة على تهذيب النفس وتنشئتها على حبِّ الخير وبلوغ الحقيقة عن طريق العقل؛ لكي يصل الإنسان إلى عالم المثل العالم الحقيقي.

رابعًا –الأخـــــلاق عند أرســـــطو [26] : اهتم أرسطو اهتمامًا كبيرًا بالأخلاق، فألف كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس "الذي يعتبر مرجعًا مهمًا في الأخلاق، ويقول في نظرية الخير والسعادة "كل الفنون والأبحاث العقلية المرتبة، وجميع أفعالنا وجميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أنَّ غرضها شيء من الخير ترغب في بلوغه، وهذا هو ما يجعل تعريفهم للخير تامًا، إذ قالوا: إنَّه هو موضوع جميع الآمال.. إذا كان لجميع أعمالنا غرض نهائي نريد بلوغه لذاته ومن أجله كنا نطلب كل البقية.. فمن الواضح أن يكون

الغرض العام لجميع آمالنا هو الخير والخير الأعلى" [27]، فالخير هو المطلب والغاية للفرد والمجتمع، فمهما اختلفت أعمالنا نسعي لتحقيق مطلب وغاية واحدة هي الخير الأسمى، والخير الأسمى عند أرسطو هو السعادة، "الخير والنجاح وتحصيل السعادة كلها ألفاظ متعددة تدل على معني واحد ". [28]

ويختلف مفهوم السعادة باختلاف السلوك الأخلاقي " أنَّ يتخذ الإنسان له معنى من الخير والسعادة بما يلقي من العيشة التي يعيشها هو: فالطبائع العامية الغليظة ترى السعادة في اللذة ومن أجل هذا هي لا تحب إلَّا العيشة في ضروب الاستمتاع المادي،.. أنَّه لا يوجد إلا ثلاثة صنوف من العيشة.. أولها هذه العيشة التي تكلمنا عليها أنفًا، ثم العيشة السياسية أو العمومية، وأخيرًا العيشة التأملية والعقلية "[29] فالهدف من الأخلاق تحقيق السعادة والتي هي غاية الجميع، ولكن الطريقة لتحقيق ذلك تختلف من شخص لآخر لاختلاف الطباع، فيراها البعض في اللذة، والبعض الآخر في الثروة والمجد، وآخرون يرونها في التأمل العقلي والحكمة وهي السعادة الحقيقية، هناك ثلاث أنواع من السعادة: الحسية والسياسية والنظرية.

اهتمَّ أرسطو بالنفس لارتباطها بالأخلاق، وفرق بين النفس والجسم، فالنفس عنده كمال أول لجسم طبيعي، والنفس عنده لا تفارق الجسم لأنَّه لا يمكن أن نجد نفس بلا جسم، والنفس عنده علة الحركة،[30] فالنفس ترتبط بالأخلاق والسعادة؛ ولأنَّ السعادة حالة من حالات النفس.

يُقسّم أرسطو النفس إلى نفس نباتية ونفس حيوانية ونفس عاقلة أو ناطقة، ولا يقصد بهذا التقسيم إلا وظائف مختلفة تقوم بها نفس واحدة، وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم أفلاطون الذي يُقسم النفس إلى شهوية وغضبية وعاقلة، فأفلاطون يجعل هناك أنواع ثلاثة للنفس، بينما أرسطو يقول بنفس واحدة لها وظائف مختلفة، وهذه المراتب تتصاعد فيما بينها من النفس النباتية مارة بالنفس الحيوانية، حتى ترتفع إلى النفس الناطقة في نظام من التماسك والترابط الجميل،[31] حدَّد أرسطو لكل قوة من قوى النفس وظيفة، فالنفس النباتية وظيفتها التغذية، والنفس الحيوانية وظيفتها الإحساس والاتصال بالعالم الخارجي، والنفس العاقلة وظيفتها التفكير والتأمل.

والفضيلة عند أرسطو تنقسم إلى نوعين "أحدهما عقلي والآخر أخلاقي، فالفضيلة العقلية تكاد تنتج دائما من تعليم إليه يسند أصلها ونموها..، وأما الفضيلة الأخلاقية فإنَّها تتولد على الأخص من العادة والشم "،[32] وميَّز أرسطو بين نوعين من الفضائل: الفضائل العقلية والفضائل الأخلاقية، الفضائل العقلية تنمو من التعليم والتهذيب

والتجربة، أما الفضائل الأخلاقية تنمو من العادة والممارسة، ونصل للفضائل عن طريق الممارسة "فإنَّنا لا نكسبها إلَّا بعد أن نكون قد مارسناها قبلا، فالحال فيها كالحال في جميع الفنون الأخرى، لأنَّه في الأشياء التي لا يمكن فعلها إلا بعد تعلمها، نحن لا نتعلمها إلا بممارستها "[33] نوعًا راقيًا يوجد في حياةً العقل والتفكر والفلسفة، ونوعًا آخر وهو ما يتعلق بالتغذي والحس، والفضيلة في هذا النوع الأخير أن تخضع الشهوات ورغبات الحس لحكم العقل، والنوع الأول أرقى لسببين: الأول: أنَّه فضيلة العقل، وبالعقل صار الإنسان إنسانًا، والثاني: أنَّه فضيلة فيها تشبُّه بالله، هي حياة الفكر الخالَص، ويرى أرسطو أنَّ السعادة تنطون من النوعين معًا، فإذا كانت الفضيلة في حكم العقل للشهوة كان لا بُدَّ في الفضيلة من العنصرين معًا، لابدَّ أن تكون شهوة وأن يكون عقل يحكمها، الشهوة مادة الفضيلة والعقل صورتها، فبهدم الشهوة انهدمت المادة ولا تقوم الصورة بلا مادة، [34] فالفضيلتان مكملتان لبعض وهما غايتان لبلوغ السعادة.

أكد أرسطو على ضرورة الاعتدال في الفضائل "فمن الناس من يكونون معتدلين حلماء، ومنهم أخرون عديمو الاعتدال ومفرطون"،[35] لابدَّ من ضرورة الاعتدال في الفضائل بدون إفراط أو تفريط، والاعتدال هو الوسط الأخلاقي الذي عرفه أرسطو "المساوي هو نوع من الواسطة بين الإفراط بالأكثر والتفريط بالأقل.. فالوسط هو هذا الذي لا يعاب لا بالإفراط ولا بالتفريط، وهذا المقدار المتساوي بعيد أن يكون واحدا بالنسبة لجميع الناس" [36] الوسط الأخلاقي عند أرسطو هو الاعتدال لا إفراط ولا تفريط، والرذيلة هي الميل إلى إحدى الرذيلتين والابتعاد عن الوسط الذي هو الاعتدال " إذا كان الإفراط والتفريط يفسدان الكمال فإنَّ الوسط الحق وحده يمكن أن يؤكده، تكرر أنَّ هذا هو الغرض الذي من أجله يدمن الفنيون المحسنون النظر إلى أعمالهم، وأنَّ الفضيلة التي هي ألف مرة أضبط وأحسن من كل تتطلع بلا انقطاع كما يتطلع الطبع نفسه ذلك الوسط الكامل، وأنَّي اعني بالكلام هنا الفضيلة الأخلاقية لأنَّها هي التي تختص بانفعالات الأنسان وأفعاله، وإنَّما هو في أفعالنا وفي انفعالاتنا إن يوجد إما إفراط وإما تفريط وإما الوسط القيم"[37] الوسط الذهبي هو الكمال بين رذيلتين الإفراط والتفريط، والفضيلة وسط بين رذيلتين إفراط زيادة أو تفريط نقصان وكلاهما مذموم.

ويضرب أرسطو مجموعة من الأمثلة على الوسط الأخلاقي، فيذكر مجموعة من الفضائل كالشجاعة التي هي وسط بين رذيلتين، الإفراط الذي هو تهور والتفريط الذي هو جبن، والوسط الذي هو الشجاعة، وفضيلة السخاء الاعتدال التي هي وسط بين رذيلتين الإفراط الذي هو التبذير والتفريط الذي هو البخل، وغيرها من الفضائل.

والخير عند أرسطو يتبع علم السياسة "نقطة أولى يظهر أنَّها بديهية وهي أنَّ الخير يتبع العلم الأعلى بل العلم الأساسي أكثر من جميع العلوم، وهذا هو على التحقيق علم السياسة، ويمكن أن ينبه فوق ذلك إلى أنَّ العلوم الأعلى مكانة في الشرف هي تابعة للسياسة"[38] علم السياسة يشرف على جميع العلوم؛ لأنَّه العلم الأعلى "أنَّه الذي يأمر باسم القانون بماذا ينبغي أن يفعل وماذا ينبغي أن يترك، ويمكن أن يُقال: غرضه يشمل الأغراض المتنوعة لجميع العلوم الأخرى، وبالنتيجة يكون غرض السياسة هو الخير الحقيقي الخير الأعلى للإنسان"[39] فهو السلطة العليا التي تأمر الأفراد باسم القانون، وهدفه وغرضه الخير الأعلى للإنسان، والخير عنده يكون أكمل في الجماعة من أن يحصل عليه فرد واحد "أنَّ الخير متماثل بالنسبة للفرد وبالنسبة للمملكة، على أن يظهر أنَّ تحصيل خير المملكة وضمانته هو شيء أعظم وأتمُّ، إنَّ الخير حقيقي بأنَّ يجب حتى ولو كان الكائن واحد، ولكنه مع ذلك أجمل وأقدس متي كان ينطبق على أمة بأسرها، ومتى كان ينطبق على ممالك بتمامها "[40] فالخير مطلوب ومرغوب للكل، ولكنه يكون أجمل وأتم وأقدس لو كان في أمة أو ممالك بأسرها حتى يعم وبشمل الجميع.

وتختلف السياسة عند أرسطو عن أفلاطون، فالوحدة الرئيسية عنده هي الأسرة، فالإنسان حيوان سياسي أي أنَّه مدني اجتماعي بالطبع، فالإنسان لا يمكن أن يتصور وحده منعزلًا مطلقًا، ولهذا يجب أن يوجد في جماعة، [41] فالفرد يعيش في المجتمع مع أقرانه من أجل توفير حاجاته، والدولة هي التي توفر للأفراد السعادة الخلقية والعقلية وتساعدهم لاكتساب الفضائل.

من خلال عرضنا للأخلاق عند فلاسفة اليونان يتبن لنا أنَّ الأخلاق مهما تعددت لا تخرج عن كونها أخلاق سعادة، وهذا ما نلاحظه عند فلاسفة اليونان، فهي الغاية القصوى للحياة التي تطلب لذلتها لا لغاية لا أخرى.

المبحث الثالث ـ الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أكد الدين الإسلامي على مكارم الأخلاق ودعا إليها من خلال (مصدرية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، فجأتِ الأخلاق الإسلامية متكاملة في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تعتبر تفسيرًا لها، فكان الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ مثالًا أخلاقيًا وقدوة للمسلمين وكذلك الصحابة، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث.

أولًا ـ الأخلاق في القرآن الكريم: عني القرآن الكريم وهو مصدر التشريع الأول في الدين الإسلامي عنايةً كبيرةً بالأخلاق، فالمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد فيها دعوات صريحة إلى مكارم الأخلاق والتحلي بها، وزجر الرذائل والنفور منها، فلا توجد فضيلة

من الفضائل إلا ودعا إليها، ولا رذيلة من الرذائل إلَّا ونهى عنها، فجأتِ الأخلاق متكاملة في القرآن الكريم، فهو منهاج ودستور لحياة المسلمين، قال تعالى - :(**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**)[42]أي للتي هي أحسن، فهو تعديل وتقويم لأخلاق المسلمين ، وفي سورة الفرقان يصف تعالى عباد الرحمن بمجموعة من بمكارم الأخلاق **(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)**)[43] ما أجمله من وصف وما أجملها من أخلاق، فعباد الرحمن هم من اصطفاهم الله عن باقي خلقه ينصاعون لأوامره ويجتنبون نواهيه، الذين يمشون في الأرض بهدوء وسكينة ومن غير تكبر، وإذا خاطبهم السفهاء لا يردون عليهم بنفس أسلوبهم بل يعرضون عن اللغو والفحش، وهم يبيتون قيامًا للصلاة والدعاء لله بأن يصرف عنهم عذاب جهنم، وهم غير مبذرين أو مسرفين ولا مقترين بخلاء، بل وسط بين الأمرين موحدين لله، لا يقتلون النفس بغير حق، ويبتعدون عن الزنا والفواحش، ومن يفعل ذلك يخلد في النار إلَّا من تاب فالله غفور رحيم، ولا يشهدون بالزور كذبًا، ويترفعون ويتنزهون عن الكلام المشين واللغو، ويتعظون من كلام الله فلا يمرون عليه مرور الصم البكم، ويدعون الله أن يهب لهم ذرية من أزواجهم وأبنائهم تقر بها أعينهم في الدنيا ويكونون معهم في الجنة، أولئك يجزون الجنة وتلاقيهم الملائكة بتحية أهل الجنة السلام خالدين فيها أبدًا ، ويصف الله المؤمنون في سورة المؤمنون بقوله تعالى: (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ**

رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(11))(44)) قد فاز المؤمنون الذين تمسكوا بمكارم الأخلاق وابتعدوا عن الرذائل ، وفي قوله - تعالى -: **(وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)**،(45) في هذه الآية ربط بين الإيمان والتوحيد وفضائل الأخلاق كالإحسان والبر بالوالدين والإحسان إلى القريب واليتيم والمسكين والجار القريب والجار البعيد والصاحب والمسافر والرقيق، ثم نهى عن التكبر والغرور.

ودعا الله تعالى إلى العدل في كثير من الآيات وحث عليه منها **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**(46) في هذه الآية أكد على العدل حتى ولو كان هناك عداوة بين المسلمين والكفار أعدلوا؛ لأنَّه أقرب إلى التقوى، ودعا إلى التقوى والله عليم بكل شيء، والله يؤمر بالعدل **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**(47) هنا أمر المسلمين بفضيلة العدل وربطها بفضائل أخرى، ونهى عن المنكرات لتوجيه المسلمين إلى السلوك المحمود وإبعادهم عن المذموم ، وذكر الصبر في العديد من الآيات منها قوله تعالى:**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**(48) دعا تعالى إلى الصبر وضرورة التحلي به، وعلى أن يصبروا المسلمين ويصابروا ويتحملوا الكفار ويرابطوا في سبيل الله **(وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)** (49) وقوله تعالى: **(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** (50) الذين صبروا في الفقر والمرض والقتال هؤلاء إيمانهم صادق، وهم المتقون الذين اجتنبوا المعاصي خوفًا من الله، وفي الصدق قال تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119))** (51) فالصدق من دلائل الإيمان قال تعالى: **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(34))**(52) التأكيد على الصدق وفضله في القول والفعل، أي من جاء بخبر صادق وصدق به وعمل به، والصادقون في مرتبة الأنبياء ولهم ما يشاؤون من الله جزاء صدقهم، فكل فضائل التقوى ترجع إلى الصدق في الحق والتصديق به. وحثَّ أيضًا المسلمين على **الإيثار (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا**

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). [53]

الإيثـــــــار : هو أعلى درجات الجود، وقد قِيلت هذه الآية في إيثار الأنصار للمهاجرين، حتى لو كانوا محتاجين أو بهم حاجة أو فقر فإنَّهم يؤثرون المسلمين على أنفسهم، ويفضلونهم على أنفسهم ، وأكد تعالى على الوفاء بالعهد في قوله: **(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)**،[54] فأمر الله المسلمين بالوفاء بالعهد أو العقود بين الناس؛ لأنَّها أمانة سيسألون عليها يوم القيامة ، وحثَّ على آداب الاستئذان قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلَّا أن يؤذن لكم)** [55] **وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [56] فالبيوت حرمة لابدَّ من الاستئذان من أهلها ، وفي الزواج والأسرة جاء قوله تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[57]، وقد حدَّد العلاقة الأسرية بالزواج وأن تسود هذه العلاقة المودة والرحمة لأهمية الأسرة للفرد و للمجتمع، وأوصى بالأولاد في قوله تعالى: **(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ)**[58] حسن التربية والأخلاق ، وحثَّ على الرحمة في قوله تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)** [59] دعا الله الرسول عليه السلام إلى الرحمة واللين في التعامل مع المسلمين؛ لأنَّ الرحمة تجمع بين المسلمين، وفي التعامل مع الآخرين قال تعالى: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)**، [60] ففي هذه الآية دعوة إلى كيفية التعامل مع للآخرين.

وجاء في الدعوة للقول الحسن في قوله تعالى: **(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا)**، [61] دعوة إلى القول الحسن، وتجنب القول السيء في الحديث؛ لأنَّ الشيطان هو من يفسد بين المسلمين لأنَّه عدوهم ويجب الحذر منه، ويشبه الكلام الطيب بالشجرة الطيبة **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** [24] **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** [25] **)**، [62] وقد شبه الكلمة الطيبة بالشجرة التي تعطي ثمارها وتصعد إلى الله لما فيها من أجر. فالأخلاق الحسنة تخلق المحبة وتبعد العداوة **(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم)**[63] **(وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [64] الله سبحانه يحب الإحسان، وعد الله المسلمون جنة عرضها السموات والأرض **(وسارعوا**

إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنَّةٍ عرضُها السَّماوات والأرض أعدَّت للمتَّقين (133) **الذين ينفِقُونَ في السَّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن النَّاس واللّه يُحبُّ المحسنين** (134)) (65) دعا المسلمين إلى المسارعة لينالوا مغفرة الله وبلوغ جنة عرضها السموات والأرض، وهذا يدل على عظمة الأخلاق التي دعا إليها الله كالصدقة وكظم الغيظ والعفو، لكي يبلغوا الحسنات.

والأخلاق في الإسلام لم تكن مقتصرة على مجال دون الآخر، فقد شملت جميع جوانب الحياة، ففي مجال السياسة جاء في قوله تعالى: **(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)** (66) وقوله تعالى: **(وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)**(67)، وفي مجال الاقتصاد جاء في قوله تعالى: **(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ** (1) **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** (2) **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** (3) **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ** (4) **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**(5))(68) توعد الله المطففين بوادٍ في جهنم؛ لأنَّهم ينقصون الميزان ويبخسون الناس حقهم في الكيل والميزان.

وذكر تعالى الحيوانات واستخداماتها للتنقل والركوب والأكل، ودعا للرأفة بها والله رؤوف رحيم **(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** (5) **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** (6) **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** (7) **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).** (69)

هذه بعض آياتٍ من القرآن الكريم التي تحث المسلمين على التمسك بمكارم الأخلاق، ولا يتسع المقام هنا لذكر كل الفضائل.

وكما أنَّ هناك آيات تدعو المسلمين إلى التحلي بمكارم الأخلاق هناك آيات أخرى تدعو المسلمين إلى الابتعاد عن الأخلاق المذمومة ونبذها **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)،** (70) حيث دعت هذه الآيات المؤمنين إلى الابتعاد عن السخرية من الآخرين، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن والتجسس، والغيبة التي تشبه أكل لحم الميت، والتقوى والخوف من الله الرحيم، فالابتعاد عن هذه الرذائل التي نهي عنها الإسلام تعزز المحبة والألفة والاحترام بين المسلمين.

ونهى الله تعالى عن التكبر (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** (18) **وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ** (19)) (71)حث على التواضع وعدم الإعراض بالوجه عن الآخرين، ودعا الاقتصاد في المشي وهو بين السرعة والبطء، وهذا دليل على الهيبة والوقار، وعدم علو الصوت لأنَّه مزعج، ولأنَّ أنكر الأصوات صوت الحمير، فعدم علو الصوت دليل على الاحترام وحسن الخلق؛ لأنَّ الاستكبار وعدم التواضع أدَّى إلى هلاك الأمم، ودليل على ذلك ما حدث لقوم فرعون (**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** (39) **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** (40))(72) طغي فرعون وجنوده واستكبروا في الأرض، وظنوا أنَّهم لا يرجعون إلى الله، فكان عقابهم عند الله شديدًا وهو الغرق، وهذا عقاب الظالمين.

كما نهى إلى عدم التسرع في الحكم (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ**) (73)عدم ترك مجال للفتنة لأنَّ بعض الظن إثم.

وهذه مجموعة من الوصايا دعا إليها الرسول عليه السلام بأمر من الله تعالى الصحابة والمسلمين: (**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔٗاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنٗاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**(151))**وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (152) **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (153)**)**.(74)

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شامل لمكارم الأخلاق في القرآن الكريم، فهي تشمل جميع الفضائل وتنهي عن جميع الرذائل قال تعالى: (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**) (75) دعا إليهما الإسلام لأنَّهما أساس الأخلاق وهي التي تميز المسلمين عن غيرهم من الأمم.

من خلال ما تقدم تبين لنا أهمية الأخلاق في القرآن الكريم من خلال التكرار الوارد في الآيات القرآنية لمكارم الأخلاق وأنواعها كالصدق والصبر والعهد والرحمة والإحسان والأمانة والعفو والإيثار...الخ، وربط الإيمان والتوحيد والعقيدة بمكارم الأخلاق.

ثانيًا ـ الأخلاق في السنة النبوية: السنة النبوية الشريفة هي ما ورد عن الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل، وهي مصدر التشريع الثاني في الإسلام، وقد أكدت على مكارم الأخلاق والحث عليها، فجاء الرسول ـ صلَّى ـ الله عليه وسلم متممًا لمكارم الأخلاق **"إنَّما بعث لأتمم مكارم الأخلاق"** (76) فالغاية من بعثته عليه السلام هي تمام الأخلاق، والتي تشمل العلاقة مع الخالق في العبادات والعقائد، ومع الخلق في المعاملة.

وقد كان الرسول ـ صلَّى الله عليه ـ وسلم نموذجًا أخلاقيًا يُقتدى به، حتى قبل الإسلام فكان مشهود له بالصدق والأمانة ولقب (بالصادق الأمين)، ومدحه الله تعالى **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** (77) وأثنى الله تعالى على خلقه فهو مثال لمكارم الأخلاق، فكان معلمًا ومرشدًا للمسلمين **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** (78) **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** (79) **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)** (80) **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)** (81) **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** (82) **(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)** (83)**(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** (84) **(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ).** (85)

تمتع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بأخلاق عالية كالحكمة والموعظة الحسنة والأسلوب المقنع، وهو ما ساعده على نشر الأخلاق الإسلامية، فكان خلقه القرآن، وقد سألتِ السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول فقالت **"كان خلقه القرآن "** (86) متزينا بأخلاق القرآن متمسكًا بآدابه وأوامره ونواهيه، لذلك كان أحسن الناس خلقا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال **" كان رسول الله صلي الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا".** (87)

ولأهمية حسن الخلق عند الرسول ـ عليه السلام ـ ربطه بالإيمان، قال ـ عليه السلام ـ **"إن أكمل المؤمنون إيمانًا أحسنهم خلقًا "**(88) فكمال الإيمان مقترن بحسن الخلق، والإيمان درجات وأفضل درجات الإيمان الأحسن خلقًا، عن ابن عمر أنَّه قال كنت مع رسول الله ـ صلَّى ـ الله عليه وسلم، فجاءه رجل من الأنصار فسلَّم على النبي ـ صلَّى ـ الله عليه وسلم ثم قال: **"يا رسول الله أي المؤمنون أفضل ؟ قال أحسنهم خلقا "**(89)،

فحسن الخلق والتعامل مع الناس هو حســـن خلق وتعامل مع الله، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ من أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: **"تقوى الله وحسن الخلق "**[90] وقال عليه السلام **"ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامـة من خلق حسن، وإنَّ الله يبغض الفاحش البذيء".**[91]

ويصل المؤمن بحسن الخلق أعلى درجات الجنة قال ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ **"أنا زعيم ببيت في ربض أطراف الجنة لمَن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه "**،[92] فبحسن الخلق يصل المؤمن إلى أعلى درجات الجنة.

والمسلمون يتفاوتون في درجة قربهم من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامة، فأقربهم إليه أحسنهم خلقًا" **إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، إنَّ من أبغضكم إليَّ وأبعدكم منِّي مجلسًا يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيقهون، قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون"**،[93] هذا يدل على مدى أهمية حسن الخلق عند الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ فأقربهم منه أحسنهم خلقًا، وأبعدهم عنه أسوئهم خلقًا. دعا عليه السلام في التعامل مع الناس بالخلق الحسن **"خالق الناس بخلق حسن "**.[94]

وربط حسن الخلق بالعبادات كالصوم والصلاة قال: ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ **"إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم "**[95] فحسن الخلق يصل صاحبه لدرجة الصائم القائم حتى وأن لم يصوم أو يصلي.

والأخلاق الحسنة التي حثَّ عليها الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم عديدة، وسنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

البر: سأل عليه السلام عن البر فقال **"البر حسن الخلق، والأثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس "**.[96]

ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ : **الصدقة والتواضع والعفو**، بقوله" **ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفوٍ إلا عزا، ومن تواضع لله رفعه"**،[97] الصدقة لأنَّها تطهر النفس، والعفو يزيد المسلم عزا، والتواضع من أكرم الأخلاق، وكلما تواضع المسلم رفعه الله درجات إليه، والصدقة ليست مال فقط منها " **تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة"**[98] ما

أعظم ديننا الإسلامي فأي عمل يقوم به المسلم هو صدقة وله أجر، كالتبسم والبشاشة في وجه المسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإزالة أي شيء من الطريق فيه إيذاء للمسلمين، وسقي المسلم.. كلها صدقات يجازي عليها المسلم، لكي يحبب المسلمين ويرغبهم الأعمال الخيرة.

ودعا إلى **الزكاة** لأنَّ فيها تطهير للنفس والأموال **"ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم اعطِ ممسكًا تلفا".** [99] وحثَّ على **الصبر** بقوله: ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ **"ما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر"**[100] مهما أعطى الإنسان من عطاء وخير يبقي الصبر أفضلها، وأوصي **بالصدق "إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وأنَّ البر يهدي إلى الجنة، وأنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وأنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وأنَّ الفجور يهدي إلى النار، وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا ".(101)**، وفي **التواد والرحمة والعطف** قال ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"**[102] فالتواد والتراحم والتعاطف مترابطة مع بعضها وتشمل المحبة، والمؤمنين مترابطين مع بعض مثل الجسد الواحد متلاحمين، إذا مرض فيه عضو مرض الجسد كله بالسهر والحمى. والمسلم يقف مع أخيه المسلم يزيل همه ويفرج كربه ويمد له يد العون **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله بها عنه كربة يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " (103).** والمسلم يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم" **لا يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"** [104] محبة المسلم لأخيه المسلم شرطًا لقبول الإيمان، وحثَّ على **العفو والصفح والرحمة "إنَّما يرحم الله من عباده الرحماء"**[105] وهذه دعوة إلى الرحمة والصفح فمن يرحم غيره يرحمه الله، وقد كان عليه السلام **رحيما ورؤفا** بالمسلمين وحسن المعاملة، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال **"خدمت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ عشر سنين، فما قال لي أف، ولا لم صنعت، ولا إلا صنعت ".**[106]، ونادى ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بفضيلة **الحياء،** فهي شاملة لأخلاق الإسلام كلها " **إنَّ لكل دين خلقًا، وإنَّ خلق الإسلام الحياء "(107)** وقال أيضًا في الحياء **"ما كان الفحش في شيء إلا شأنه وما كان الحياء في شيء إلا زانه "**[108] الفواحش تزيد الشيء قبحا، أما الحياء يزيده جمالًا، ولأنَّ **"الحياء لا يأتي إلا بالخير".(109)**، وفي **الورع والقناعة والحب وحسن الجوار**

وقلة الضحك، روي أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ أنَّه قال **"يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن جوار من جوارك تكن مسلما، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب "(110)** عظيمة هذه الأخلاق التي أوصي بها نبينا أبي هريرة، فالعبادة تنهي عن المحارم، والشكر رضا بما قسمه الله، والإيمان بأنَّ يحب لغيره ما يحب لنفسه، وبمراعاة الجار تكن مسلما، وتقليل الضحك لأنَّ كثرته تميت القلب، وروى أبو هريرة ـ أيضًا ـ عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ **"مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (111)** ربط الإيمان بقول الخير أو الصمت وبإكرام الجار والضيف، فالكريم أسم من أسماء الله الحسني، وهي من مكارم العرب حتى قبل ظهور الإسلام ، وقال في حديث آخر **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء فإنَّ المرأة خلقت من ضلع، وأنَّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرا "** (112) فالمؤمن يقل خيرًا أو يلتزم الصمت، ودعا إلى معاملة النساء بلين ورفق، واستوصي بحسن بمعاملتهم. وحث إلى الرفق في التعامل مع الكل **" إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله ".** (113)، وفي **الاناءة والحلم** قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأشج عبد القيس **"إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والاناءة"** (114) دعا التعقل وعدم العجلة والتأني.

هذه مجموعة من مكارم الأخلاق التي دعا الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ المسلمين إلى التمسك بها، وفي المقابل نهاهم عن مجموعة من الرذائل منها:

نهى ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ المسلمين عن الحسد فقال: **"لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا، وَلا تَدابرُوا، وَلا يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْوانًا، المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لا يَظلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المُسْلِمَ، كُلّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ "(115)** فنهى عن الحسد الذي يزول النعمة على المسلمين والتناجش والكره والتباغض والتدابر والتقاطع والتهاجر بين المسلمين، فالمسلم حرام أن يهجر أخاه المسلم أكثر من ثلاث أيام، ففي هذا الحديث نهى على كل ما يفرق بين المسلمين، ودعوة لتوحيد المسلمين وضرورة التعاون والتأخي والمحبة والألفة بينهم.

عن النقاش العقيم والجدل الذي يؤدي إلى الضلال فقال **"ما ظل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أتوا الجدل"**[116] ﷺ نهى يقصد به أن قوم كانوا مؤمنين وعلى هدي، وظلوا أي كفروا لأنَّهم كانوا يتجادلون بالباطل مع الرسل، لذلك نهي عن الجدل لأنَّه يؤدي إلى الضلال والكفر.

ومن جملة ما نهى عنه من الأخلاق المذمومة النفاق **"آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أوتمن خان"**[117] فعلامة المنافق الكذب وعدم الوفاء بالوعد والخيانة. كما نهي عن بذاءة اللسان" **ليس المؤمن بالطعان واللعان والفاحش ولا البذي "**[118] فالمؤمن ليس بالطعان الذي يطعن في نسب المسلم، ولا اللعان الكثير اللعنة الذي يلعن المسلمين، ولا الفاحش صاحب الكلام القبيح وكثير السب والشتم، ولا الذي يتأذى المسلمين من لسانه، فلا يحفظ لسانه؛ لأنَّ كلامه لا يتقبله العقلاء ويستحي منه المسلمين، فعن أبي هريرة، قال: قال رجل: **يا رسول الله، إنَّ فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصدقتها، وصيامها، غير أنَّها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في النار"، قال: يا رسول الله، فإنَّ فلانة يذكر من قلة صيامها، وصلاتها، وإنَّها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: "هي في الجنة "** [119] فاللسان سببًا لدخول الجنة وسببًا لدخول النار، حتى وإن قام المسلم بجميع العبادات المطلوبة **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "**[120]. وحرم الأذى على المسلم بأي شكل كان " **إنَّ دماؤكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** " [121] في هذا الحديث حرم سفك الدماء والأعراض.

ونهى عن الغضب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال إنَّ رجلا جاء إلى النبي ـ صلَّى الله عله وسلم ـ قال: **"أوصيني، قال لا تغضب، فردد ذلك مرارا قال: لا تغضب"**[122] تكرار لا تغضب تدل على أهمية ترك الغضب للمسلم.

كما رفض الذل للمسلم أو الرضا به **"لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه "**[123] رفض للمؤمن الذل والإهانة.

ولم يقتصر النهي على معاملة البشر فقط، وإنَّما نهى أيضًا عن إيذاء الحيوانات " **إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإنَّ الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس "** [124] دعوة إلى الرأفة بالحيوان.

هكذا كان رسولنا قدوتنا لمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والصبر والرأفة والزهد والحياء، فهو مثال للكمال الأخلاقي البشري، عرف قبل ظهور الإسلام بالصادق الأمين وفي الإسلام وصفه تعالى بعظيم الخلق **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**[125] فكان رؤوف

بالمؤمنين **(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** [126] وصابرا **(ولربك فاصبر)**[127] والكرم والجود **(ولا تمنن تستكثر)** [128] وفي الحياء **(فيستحي منكم)** [129] وفي العفو **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)** [130] **وفي الرحمة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)** [131] فهذه المكارم وغيرها اتصف بها رسولنا الكريم وبأمر من الله دعا إليها المسلمين، ورغم تعرضه لأشد أنواع التعذيب من قريش في دعوته لكنه لم يحمل حقدًا أو كرهًا أو ضغينة عليهم، وكان يدعو لهم **"اللهم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون".** [132]

مصادر الإلزام الخلقي في الإسلام:

أولا ـ عن طريق الوحي (القرآن الكريم –السنة النبوية):

فالقرآن الكريم لما فيه من آيات تهدي إلى السراط المستقيم وتوجه المسلمين إلى صالح الأخلاق والأعمال، قال **تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)** [133]، وكذلك السنة النبوية لأنَّها ملازمة للقرآن الكريم وتفسير له.

المصدر الثاني للإلزام الخلقي العقل السليم:

يوجه المسلمين، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تحث على التدبر والتفكير **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).** [134] والعقل وحده ناقص لابد أن يوجهه الشرع. فالفعل الأخلاقي ينطلق من الحرية الإنسانية ويترتب عليه المسؤولية والجزاء، فالإنسان مفطور على معرفة الخير والشر والحق والباطل، منذ بداية الخلق قال تعالى: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا)** [135] فالنفس قادرة بحكم الفطرة على التمييز بين الأعمال **(بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ(15))**[136] فالإنسان عنده القدرة على التبصر والتفكر فهو مسيطر على نفسه، والله سبحانه وتعالى وهب الإنسان الحواس لكي يستطيع أن يميز بها الخير والشر **(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ(10))** [137] فهذه الحواس العينين واللسان والشفتين تساعده على الاهتداء إلى الخير ويحاسب الإنسان نفسه بحواسه لهدايته إلى النجدين.

وهذه الفطرة ربطها الدين الإسلامي بأمور منها الإيمان قال **تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (39) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ(40))** [138] في هذه الآية ربط الفعل الأخلاقي بالخوف من الله، والذي جزاؤه الجنة، وكما ربط الفعل الأخلاقي بالعبادات قال تعالى: **(إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا(20) وَإِذَا مَسَّهُ**

أُلْخَيْرُ مَنُوعًا [21] **اِلَّا اَلْمُصَلِّينَ)** [139] فالصلاة هي صلة العبد بربه، وتثبت النفس وتعيين العبد على تغيير حالة النفس من الهلع والخوف إلى الثبات، والله يعلم بحال النفس وما يصلح بها، والله دعا النفس إلى ضوابط وعدم اتباع الهوى قال تعالى: **(وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)** [140].

الإنسان عندما يغرق في ملذات الحياة، ويجحد بنعم الله يسقط إلى أسفل السافلين **(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** [5] **إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)**[141] فالحواس التي منحها الله للإنسان لم يستخدمها للهداية قال تعالى: **(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) .**[142]

العقل وحده ناقص لابدَّ أنَّ يوجهه الشرع (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [9] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [143] والتزكية عن طريق الشرع، والإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن أعماله قال- تعالى- : **(وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا)** [144] فكل إنسان يوم القيامة يلزم ما قام به من أعمال من شقاء أو سعادة، وعمله في عنقه لا يفارقه، قال تعالى: **(أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)**[145] فالإنسان لا يملك إلا سعيه ولا ينفعه إلا سعيه، ويحاسب عنه ويجازي عليه إذا كان خيرًا دخل الجنة وان كان شرًا دخل النار **(خالدين فيها أبدًا).** [146]

إنَّ الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية شاملة لجميع جوانب الحياة، فالله هو مثال الكمال الأخلاقي المطلق **(ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم)** [147] والرسول مثال الكمال الأخلاقي البشري فكان معلما وقدوة للمسلمين، وهذه الأخلاق وضحت العلاقة الأخلاقية بين الإنسان وخالقه وتمثلت في الإيمان والتصديق به **(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)** [148] وضحت علاقة الإنسان بنفسه ومسؤوليته على أعماله وضحت علاقة الإنسان بالكائنات غير العاقلة كالحيوانات والطبيعة.

المبحث الرابع – الأخلاق عند علماء الكلام:

على الرَّغم من أنَّ التصور الإسلامي للأخلاق جاء واضحًا في القرآن الكريم والسنة النبوية، فالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كانت واضحةً وصريحةً في الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن رذائلها، إلا أنَّ بعض الفرق الكلامية خاضت في مسألة الأخلاق، وكان هدفها الدفاع عن العقيدة الإسلامية بالحجج والأدلة العقلية ضد الديانات والثقافات الأخرى، وعلى رأس هذه الفرق فرقة المعتزلة والأشاعرة.

ويمثل الحسن والقبح أساس الأخلاق عند المعتزلة والأشاعرة، وهما من أهم القضايا التي دار حولها نقاش كبير بين الفرقتين، وكذلك خلق الأفعال الإنسانية والإرادة. وهذا ما سنحاول توضحه في هذا المبحث.

أولًا ـ الأخلاق عند المعتزلـــــــة[149]:

تعد المعتزلة من أهم الفرق الكلامية، التي دافعت عن الدين الإسلامي ضد خصومه من الديانات والثقافات الأخـــرى طيلة القرنين الثاني والثالث الهجري ، وقد سلكت منهجًا عقليا في البحث عن العقائد ، وذلك لتأكيد رأيهم بأنَّ الإنسان مسؤول على أعماله ويحاسب عليها بالثواب والعقاب.

سُمي المعتزلة بأهل العدل والتوحيد ، فالعدل أهم الأصول الخمسة التي قال بها المعتزلة، فالعدل" تنزيه الله عز وجل عن كل قبيح وإن أفعاله كلها حسنة " [150] فالعدل هو تنزيهه تعالى فهو لا يفعل القبيح ولا يؤمر به لأنَّه العدل، والتوحيد عند المعتزلة أهم صفة للذات الإلهية ، أما العدل فأهم صفة للعقل الإلهي، والعدل بوصفه متعلق بالعقل فيتصل بصلة الله بالإنسان، وهذه الصلة يسودها وفق رأي المعتزلة العدل المطلق، وهذا مدخل الأخلاق، فالإنسان من حيث صلته بربه مكلف بتكاليف شرعية وأخلاقية [151] لاشك أنَّ العدل أنسب الصفات الإلهية تعبيرًا عن اتجاه أخلاقي في علاقة الله بالإنسان، بل بلا شكَّ أنَّ المعتزلة لم يتخيروا صفة العدل ويجعلوها أصلا لهم، وربما أهم أصولهم إلا لأنَّ فلسفتهم ذات هدف أخلاقي قائم على أساسي عقلي [152] .

ارتبط مفهوم العدل عند المعتزلة بمفهوم الخير والشر (الحسن والقبح)" اصطنع المعتزلة اتساقًا مع نسقهم العام في التفكير الاتجاه العقلي، وفي وصف الأفعال بالخير والشر لفظي الحسن والقبح، وهما صفتان أدق في التعبير عن الأخلاقية"[153]، استخدم المعتزلة لفظ الحسن والقبح لأنَّهما أدق في التعبير عن اتجاههم العقلي، ويعدُّ الحسن والقبح لب وجوهر العدل الإلهي عند المعتزلة.

ذهب المعتزلة إلى أنَّ" حسن الأفعال وقبحها أو خيريتها وشريتها تكمن في ذاتها، فالصدق والأمانة وشكر المنعم وغير ذلك من الأمور الحسنة هي كذلك لأنَّها في ذاتها حسنة، وكذلك الكذب والخيانة هي كذلك لأنها في ذاتها قبيحة، وبالعقل ألزم المعتزلة الإنسان حسن الحسن وقبح القبيح ومن ثم أوجبوا عليه الإقدام على الحسن والإعراض عن القبيح "[154].فالحسن صفة ذاتية في الفعل الحسن جعلته حسنا والقبح صفة ذاتية في الفعل القبيح جعلته قبيحا، والحسن والقبح لا يخضعان للشرع إنَّما يخضعان للعقل، والعقل قادر على التعرف على الحسن والقبيح دون حاجة لتدخل الوحي أو الشرع دون

الرجوع للأوامر الله وإرادته، فالحسن لم يجعل الحسن حسنا يأمر به ولا القبيح قبيحا بنهيه عنه، بل هو أمر بالشيء لحسنه ونهى عنه لقبحه.

والعقل هو المخبر عن الحسن والقبيح "فصاروا إلى أنَّ العقل يستدل به حسن الأفعال وقبحها على معنى أنَّه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن ويجب عليه الملام والعقاب على القبيح، والأفعال صفة نفسية من الحسن والقبيح، وإذا ورد الشرع بها كان مخبرا عنها لا مثبتا لها "[155] إثبات الحسن والقبح عن طريق العقل، والشرع مخبر عنهما.

اهتمَّ المعتزلة بالحسن والقبيح وما يتبع ذلك من نفع أو ضرر "ربط المعتزلة بين مفهوم الخير والشر أو الحسن والقبح، وما يتبع الفعل من نفع أو ضرر عام، فالخير عندهم ما يقود إلى نفع، وقد لا يكون الخير أو الحسن لذيذًا في الحال، ولكن كونه يقود إلى نفع أكبر أو مصلحة أعم، فهو بهذا المعيار يكون خيرًا، كذلك الشر والقبيح هو ما يقود إلى ضرر بالرغم من كونه لذيذ في الحال، إذا المعيار المعتزلي لما هو خير وما هو شر مرتبط بالنفع أو الضرر، والعقل الإنساني قادر على الحكم بحسن الأفعال أو قبحها، دون انتظار لورود الشرع يجي ليخبر عنها بما يطابق التصور العقلي "[156] فمقياس الحسن والقيح عند المعتزلة هو النفع أو الضرر كلما زاد النفع زاد الخير أو الحسن، وكلما زاد الضرر زاد الشر، والعقل قادر على الحكم على العقل الإنساني قبل ورود الشرع.

وعند المعتزلة ليس كل خيرا حسنا، وليس كل شرا قبيحا، لأنَّ الفعل يوصف بأنَّه شر إذا كان ضروريا ولو كان نفعًا قبيحًا لم يوصف بذلك، فالله قد تنزه عن كل قبيح، ومن ثم فأفعاله لا تكون إلا حكمة وصوابا، وقد ينزل الضر بالإنسان من الألم وأسقام ويتعذر وصف ذلك بالخير وإذا كان ذلك من الله حسنا، ومن وجهة نظر المعتزلة لا تنفي وجود الشر وتراه حسنا إذا كان لطفا تقتضي أن توصف الأفعال على المستوى الأخلاقي بالحسن والقبيح. [157]

يقسِّم المعتزلة الأفعال لتحديد قدرها بحسب أحكامها الذاتية لاعتبارين: أولًا – الفعل الذي لا صفة زائدة على حدوثه وهذا لا يوصف بقبح ولا حسن. ثانيا – الفعل الذي له صفة زائدة على حدوثه وهو إما يكون قبيحا أو حسنا. الاعتبار الأول هو فعل الساهي والنائم حيث لا قدر لفعله من جهة ارتباطه بفاعله، أي لا استحقاق الحكم عليه، والاستحقاق الثاني فعل العالم بما يفعله ووقوعه حسب قصده ودواعيه، فالوجه الذي يقع

هذا الفعل بحسب علم وقصد فاعله وتقديره له هو الذي يحدد قدره وبالتالي استحقاق الحكم عليه. (158)

أفعال العباد : أما فيما يتعلق بخلق أفعال العباد تؤكد المعتزلة بأنَّ الله لم يخلق أفعال العباد الحسنة أو القبيحة؛ لأنَّه لو خلق الله أفعال العباد "لا بطل الأمر والنهي، وبعثه الأنبياء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبحت المساءلة والمحاسبة والمعاقبة.. وكيف يحسن من الله تعالى المساءلة والمحاسبة وجميع ما وقع من الأفعال هو الذي خلقه " (159).

وجائز الطاعات هي من فعل العبد "لأنَّه أمر به وإيمان عليه ولطف، كما يضاف أدب الولد إلى أبيه من حيث أدبه وهذبه وعلمه، فأما المعاصي فلا تضاف إلى الله لأنَّه نهى عنها، وكره فعلها وتوعد عليها العذاب" (160) فالإنسان خالق أفعاله ومسؤول عنها، فلو كان الله خالق أفعال العباد لكان للناس حجة على الله يوم القيامة "لو كان الله هو الموجد لأفعال العباد فإنَّه يؤدي إلى أنَّ يكون للناس على الله حجة، فإنَّهم يقولون يوم القيامة: إنَّا لم نقدر أن نؤمن فإنَّك أوجدت أفعالنا.. ولأنَّ الكفر والمعاصي لو وجدت بإيجاد الله تعالى كان الكفر والمعاصي مضافًا إلى الله تعالى، ويستحيل إضافتها إلى الله تعالى" (161) .

أفعال العباد هي من خلق العباد ومسؤولين عليها وسيحاسبون عليها يوم القيامة بالثواب والعقاب،" جميع أفعال العباد من الظلم والجور وغيرها لا يجوز أن يكون من خلقه، ومن أضاف ذلك إليه فقد نسب إليه الظلم والسفه، وخرج من القول بالعدل، ونعلم أنَّ الله عز وجل لا يكلف الإيمان ولم يعطه القدرة عليه، وأنَّه لا يكلف العبد مالا يطيقه، وإنَّما أتى الكافر في اختياره الكفر من قبل نفسه لا من قبل الله عز وعلا، وتعلم أنَّه لا يريد المعاصي ولا يشاؤها ولا يختارها ولا يرضاها بل يكرهها ويسخطها، وإنما يريد الطاعات ويحبها ويختارها وتعلم أنه لا يعذب أطفال المشركين في النار بذنوب أباؤهم" (162)

أفعال الله كلها حسنة ولا يفعل القبيح نهائي، فالله العدل لا يظلم ولا يجوز ولا يكلف إلا بعد أن يعلمهم ويقدرهم " وتعلم أنَّه أحسن نظرا للخلق الذين كلفهم منهم لأنفسهم، وأنه قد دلهم على ما كلفهم، وبين لهم طريق الحياة ليأتوه وطريق الباطل ليوقوه، فمن هلك لم يهلك إلا على بينة" (163) تنزه الله سبحانه وتعالى، ويتضح هنا الحكمة والعدل الإلهي في تكليف البشر، وذلك عن طريق إرسال الرسل لإرشاد البشر، فهم مكلفون بتكاليف شرعية وأخلاقية، توضح لهم الطريق الذي يجب أن يسلكوه فيتابوا عليه، والطريق الذي يجب أن يجتنبوه أو يعاقبوا عليه. لذلك عمل المعتزلة على تأويل ظاهر

النصوص القرآنية التي تعارض قولهم بخلق أفعال العباد حتى لا تعارض موقفهم مثل قوله تعالى: (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء).[164]

ويرتبط بمسالة العدل والحسن والقبيح اللطف الإلهي، فالله رحيم بعباده لا يريد ظلمًا لهم " الله عادل في قضائه رؤوف بخلقه ناظر لعباده لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريد ظلما للعالمين، وهو لم يدخر على عباده شيئا مما يعلم". [165]

الصلاح والأصلح: يرتبط الصلاح والأصلح عند المعتزلة بالعبد **" ما دام الله عادل فهو لن يفعل إلا ما هو أصلح لعباده، لأنَّه خلق العالم لغرض وغاية وحكمة؛ لأنَّ العمل دون غاية تبرره أو حكمة يتوجه إليها ويستهدفها يصبح عبثا "** [166] فالله يفعل ما فيه صلاح لعباده.

العدل الإلهي : عند المعتزلة مستويين، مستوى خاص بالفعل الإنساني وعلاقته بالفعل الإلهي، ومدى تأثيره عليه وحرية الإرادة لدى الإنسان، والمستوى الثاني خاص بالفعل الإلهي يتمثل في العدل والحكمة والتكليف وذلك بإرسال الرسل.

في نهاية حديثنا عن الأخلاق عند المعتزلة يتبين لنا تأكيد المعتزلة على دور العقل وقدرته على معرفة حسن الأفعال قبحها، والحسن والقبح ذاتيان في الأفعال، ولم تهمل المعتزلة دور الشرع بشكلٍ كاملٍ في معرفة الحسن والقبح، فالعقل عنده حدود يقف عندها ولا يتخطاها خاصة بالتكليف؛ لأنَّ الشرع هو المخبر عنها وعن أوجه الحق فيها.

ثانيا ـ الأخلاق عند الأشاعرة [167]:

تعدُّ فرقة الأشاعرة من أهم الفرق الكلامية، انتقدت فرقة المعتزلة في الخوض في القضايا العقلية واستخدام التأويل العقلي ، وأخذت بالشرع والتسليم بظاهر النص القرآني كما هو دون تأويل ، وأساس الأخـــلاق عند الأشاعرة الحسن والقبيح اللذان يتبعان الشرع وليس العقل " فالمعنى بالحسن ما ورد بالشرع بالثناء على فاعله، والمراد بالقبح ماورد بالشرع بذم فاعله "[168] فالأخلاق عند الأشاعرة مصدرها الشرع، فالحسن ما حسَّنه الشرع والقبح ما قبَّحه الشرع، يقول الآمدي "أعلم أنَّه لا حاكم سوى الله تعالى، ولا حكم إلا ما حكم به، ويتفرع عليه أنَّ العقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يوجب شكر المنعم، وأنَّه لا حكم قبل ورود الشرع "[169]، فالحسن والقبح يتبعان الشرع، ولا يمكن إدراكهما قبل ورود الشرع، فالعقل عاجز عن إدراكهما، وكذلك لا تكليف قبل ورود الشرع **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)** [170] فلا يعذب الله العباد قبل ورود الشرع وبعث الرسل، على خلاف ما قاله المعتزلة العباد مكلفون قبل ورود الشرع وبعث الرسل، وذلك للتأكيد على اتجاههم العقلي، وقوله تعالى: **(رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا**

يَكُونَ لِلنَّاسِ على ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ[171] فحجة الناس على الله تنقطع بمجرد بعث الرسل ويوضحوا لهم الحق والباطل والحسن والقبح، فالعقل وحده عاجز على إبطال ما كان عليه العباد من كفر وآثام ومعاصي.

فالحسن ما أذن به الشرع ويثاب فاعله، والقبح هو ما نهى عنه الشرع ويعاقب فاعله يقول الحسن البصري " إنَّ القبيح من أفعال خلقه كلها ما نهاهم عنه وزجرهم عن فعله، وأنَّ الحسن ما أمرهم به أو ندبهم إلى فعله، أو أباحه لهم وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: **(وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ)**[172] " [173]

ويرد الأشاعرة على المعتزلة في قولهم: إنَّ الحسن والقبح عقليان "نحن نمنعكم أشد المنع من أن يكون في العقل بمجرده طريق لقبح فعل أو لحسنه أو حظره أو إباحته أو ايجابه، ونقول إنَّ هذه الأحكام بأسرها لا تثبت للأفعال إلَّا بالشرع دون قضية العقل، فإن قال قائلًا هل يجوز أن يؤلم الله - تعالى - الأطفال من غير عوض، وأن يأمر بذبح الحيوان وإيلامه لا لنفع يصل اليهم ، وأن يسخر بعض الحيوان لبعض، وأن يفعل العقاب الدائم على الإجرام المنقطعة، وأن يكلف عباده مالا يطيقون، وأن يخلق فيهم ما يعذبهم عليه، وغير ذلك من الأمور، قيل له: أجل ذلك عدل عن فعله جائز، مستحسن في حكمته، فإن قال فكيف جاز ذلك منه وحسن، وصار جورا من فعلنا"[174] يتضح من النص رفض الأشاعرة قول المعتزلة بالحسن والقبيح العقليين، فهم يرفضون أي دور للعقل في تحسين أو تقبيح أو حظر أو إباحة أو إجابة أي فعل الأبعد ورود الشرع "فلا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها وليس ذلك عائدا إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه بالشرع بل الشرع هو المثبت له المبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتعًا وانقلب الأمر"[175] فلا حكم للعقل في الحسن والقبح.

إنَّما يرجعان للشرع، والحسن والقبح قابلان للتغيير، فيمكن للشرع الأمر بما نهى عنه والنهي بما أمر به، فالقتل مثلا يمكن أن يكون منهى عنه في حالة القتل لمجرد القتل، ومصرح به في حالة القصاص وتطبيق حد الإسلام "فإذا قيل لهم هل كان جائز أمره بما نهي عنه من الكبائر ؟ قالوا: قد كان شرب الخمر مباحا في أول الإسلام ثم حرمه[176] نفى الأشاعرة الصفة عن الفعل، فليس للأفعال الحسنة أو القبيحة صفات ذاتية على النحو الذي قال به المعتزلة.

ترى الأشاعرة أنَّ الأفعال ليست حسنة أو قبيحة في ذاتها، ولا توجب الذم والعقاب، والشرع من يحسن الأفعال أو يقبحها، ما يُؤمر به الشرع حسن ما ينهي عنه فهو قبيح، "إنَّ الصدق والكذب على حقيقة ذاتية لا يتحقق ذاتهما إلا بأن كان تلك الحقيقة مثلا كما

يُقال إنَّ الصدق أخبار عن أمر على ما هو به والكذب أخبار على أمر على خلاف ما هو به، ونحن نعلم أنَّ من أدرك هذه الحقيقة عرف التحقق ولم يخطر بباله كونه حسنًا أو قبيحًا فلم يدخل الحسن والقبيح إذا في صفاتهما الذاتية التي تحققت حقيقتهما.. فلم يبقي لهم إلا استرواح إلى عادات الناس من تسميه ما يضرهم قبحا وما ينفعهم حسنا، ونحن لا ننكر أمثال تلك الأسامي على أنَّها تختلف بعادة قوم دون قوم وزمان زمان ومكان، وإضافة، وما يختلف بتلك النسب والإضافات لا حقيقة لها في الذات، فربما يستحسن قوم ذبح الحيوان وربما يستقبحه قوم، وربما يكون بالنسبة إلى قوم وزمان ومكان حسنا وربما يكون قبيحا "[177] فلو كان الحسن والقبح ذاتيان لكان دائما كذلك في كل الأفعال والأحوال وعلى اختلاف البشر والزمان والمكان، ولكن أحيانا نجد أن الشيء يكون حسنا في موضع ولا يكون حسنا في موضع آخر، فلو الحسن والقبح ذاتيان لن يتغيرا بدًا.

رفض الأشاعرة القول بأنَّ الحسن والقبح ذاتيان وعقليان؛ لأنَّه يتناقض مع إرادة وقدرة الله المطلقة، ويتنافى مع قوله: **(فعال لما يريد)**[178]، لهذا رفضوا القول بذاتية الأفعال الحسنة والقبيحة فهي اعتبارية ونسبية. فالحسن والقبح عند الأشاعرة يجب ردهما إلى الله تعالى، وما يتعلق بهما من أمر ونهي، ويمكن التعرف عليهما عن طريق الشرع، فعلم الأخلاق عندهم من العلوم النقلية وليس من العلوم العقلية، يقول الغزالي "ويختلف معنى الحسن والقبح باختلاف الأحوال في حق شخص واحد، ويختلف في حال واحد بالأغراض أي إذا اختلفت الأغراض والأهداف فرب فعل يوافق الشخص من وجه ويخالفه من وجه آخر، فالحسن والقبح: يعبران عن أمرين إضافيين.. وهما نسبيان، فقد يكون الشيء حسنا في حق زيد وقبيحًا في حق عمر"[179] فالحسن والقبح نسبيان ولا يمكن الحكم العقلي عليهما.

كما أنَّ العقول تختلف "العقول تختلف فبعضها يستحسن وبعضها يستقبح، أن العقل الواحد يختلف في الفعل الواحد، وقد يتغلب الهوى على العقل، فالمقياس الحقيقي للمعرفة هو الشرع لا العقل ".[180]

يرى الأشاعرة أنَّ أساس العدل وأساس الظلم تتبع إرادة الله، أفعال الله وأوامره كلها عادلة، حتى لو أرسل المؤمنون إلى النار والكفار إلى الجنة هو العدل، وإذا كان هناك أفعال غير أخلاقية فليس لأنَّها كذلك في ذاتها، ولكن لأنَّ الله أرادها كذلك، فالواجبات كلها تأتي عن طريق الشرع "الواجبات كلها سمعية، والعقل ليس يوجب شيئا ولا يقتضي تحسينا وتقبيحا "،[181] فالحسن والقبح يتبعان أوامر الله ونواهيه ولا وجود لحسن في ذاته أو قبح في ذاته.

ارتبط مفهوم الحسن والقبح عند الأشاعرة بالنفع والضرر "صار الحسن والقبح مفسرين بالمنفعة والمضرة، والمصلحة والمفسدة "[182] فالفعل الحسن مرتبط باللذة والفعل القبيح مرتبط بالألم، والحسن مطلوب والقبح مكروه "لما تأملنا وبحثنا وجدنا أنَّ المطلوب بالذات ليس إلا اللذة والسرور، أو دفع الألم والغم ووجدنا أن المكروه بالذات ليس، إلا الألم والغم أو دفع اللذة والسرور فهذه المقامات معلومة بالضرورة". [183]

يقول الرازي " الإحسان حسن إذا كان المراد فيه أنَّه محبوب الطبع، ومرغوب النفس لكونه سببًا لحصول المنافع فهذا حق صحيح.. الظلم قبيح أنَّه مكروه الطبع ومبغوض القلب، لكونه سببًا لحصول الألآم والغموض والأحزان، إلا أنَّه على هذا التفسير لا يمكن إثبات الحسن والقبح في حق الله تعالى، لأنَّه لو صار الحسن والقبح مفسرين بالمنفعة والمضرة، والمصلحة والمفسدة، وكان ذلك في حق الله ممتنعا، كان إثبات الحسن والقبح بهذا التفسير ممتنع الثبوت في حق الله تعالى". [184]

يرفض الأشاعرة أنَّ أفعال الحسن والقبح عقليان في أفعال الله " لما كان هذا ممتنع الثبوت في حق الله تعالى، كان إثبات الحسن والقبح في أفعال الله وفي أحكامه مجالًا باطلًا، فهذا هو الكلام الكاشف عن حقيقة هذه المسالة " [185].

كما رفض الأشاعرة قول المعتزلة بأنَّ العقل يستطيع معرفة الحسن والقبح والتمييز بينهما قبل ورود الشرع " وهذا الفرض في حق من لم تبلغه الدعوة، أو في حق من أنكر الشرائع، حتى لا يلزم كون الترجيح بالتكليف، وعن هذا صادفنا العقلاء يستحسنون انقاد الغرقى، وتخليص الهلكي، ويستقبحون الظلم والعدوان"[186] فمثل هذه الأفعال راجع إلى التكرار وإلى العادة والمحاكاة التي تولد لدي الإنسان ارتباط بين الأفعال والحسن والقبح، ويقول أبو حامد الغزالي " إنَّ اقتران الأشياء ببعض الأمور يستدعي الظن بأنَّ هناك الأشياء لامحالة مقرونة بتلك الأمور بشكل مطلق دائمًا مثلًا: أنَّ الذي نهشته الحية أو الثعبان مرة، يخاف من الحبل المبرقش اللون الذي يشبه الحية، فإذا رأى الحبل سبق له الوهم إلى العكس، وحكم بأنَّه مؤذ فينفر الطبع منه، وذلك تبعا للوهم والخيال، مع أنَّ العقل يكذب به، والذي يحترق لسانه بالماء الحار، ينفخ على اللبن ظنا منه أنَّه حار، إذا: إنَّ إقدام الناس وإحجامهم في أقوالهم وعقائدهم وأفعالهم تابع لمثل هذه الأوهام والخيالات " [187].

رفضت الأشاعرة رأي المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد وبأنَّ أفعال العباد الحسنة والقبيحة هي من خلقهم واختيارهم، ورفضت رأي الجبرية التي تنكر للعبد أي حرية أو قدرة في أفعالهم، فالله خالق أفعال العباد كلها، وقالت الأشاعرة " أفعال العباد

مخلوقة لهم " [188] فالأشاعرة ترى أنَّ الله خالق أفعال العباد، ولكنه أوجد في العباد قدرة على اختبار أفعالهم، قال الأشاعرة بالكسب " إنَّ إكساب العباد مخلوقة لله تعالى"[189] يقصد الأشعري بالكسب الفعل الإنساني، فالكسب هو خلق الله مع قدرة العبد " بل الله سبحانه أجرى عاداته بأن يوجد في العبد قدرة واختيار فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما فيكون فعل العبد مخلوقا لله إبداعًا وإحداثًا ومكسوبًا للعبد "، [190] فالكسب هو أنَّ الله خالق أفعال العباد الإرادية، والإنسان كاسب لها، وأوجد الله في الإنسان قدرة وإرادة عل القيام بالفعل، ويستدل الأشاعرة على قولهم بأنَّ الله خالق أفعال العباد بآيات من الذكر الحكيم **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)** [191] **(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ)** [192] فهذه الآيات توضح أنَّ الله خالق أفعال العباد، وفي الكسب قوله تعالى: **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)** [193] فالله خالق أفعال العباد، والعبد مسؤول على أفعاله ومكلف بها، إذا كانت خيرة دخل الجنة وإن كانت شريرة دخل النار، فالحسن والقبح من خلق الله تعالى، أما الكسب الذي هو القدرة على الأفعال من العباد . هذا هو موقف الأشاعرة الأخلاقي، فجميع الفضائل الأخلاقية تؤسس على الشرع، فالأخلاق علوم نقلية شرعية.

من خلال عرض الأخلاق عند المعتزلة والأشاعرة هناك اختلاف واضح في الجانب الأخلاقي، بل هو اختلاف مذهبي له علاقة بالترجيح بين العقل والنقل، يجب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية ومصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، التي أوضحت كل شيء يتعلق بالأخلاق الإسلامية، ولكي يتبن دور العقل أيضا وما وراء الأفعال من حلال وحرام، ولكي يتم التوافق بين العقل والنقل والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وكذلك الجانب الأخلاقي الإنساني.

المبحث الخامس– الأخلاق عند المفكرين المسلمين:

اطّلع المفكرون المسلمون على ما أبدعه العقل في الحضارات والثقافات المجاورة لهم، وخاصة الفلسفة اليونانية التي كان لها التأثير الكبير على الفكر الإسلامي، بالإضافة إلى الصراعات الفكرية والمذهبية بين الفـــرق الكلامية، وما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وارتبطت الأخلاق عند الفلاسفة الإسلام بمصادر التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتبوا في مجال الأخلاق، وهناك من مـزج بين المصادر الإسلامية وبين الكتب اليونانية، خاصة كتاب نيقوماخوس لأرسطو وكتب أفلاطون. وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث، وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر الأخلاق عند: ابن مسكويه وأبو حامد الغزالي.

أولًا – الأخـلاق عند ابن مسكويــه [194]**:** اهتم ابن مسكويه بالأخـــلاق وكانت له مكانة كبيرة في مجال الفكر الأخلاقي "فقد كانت عنايته واهتمامه بها - رُبّما - أكبر من أي مفكر إسلامي آخــر.. ؛ لأنَّ في فلسفته الأخلاقيـــة جوانب عقلية بالقدر الذي تابع فيه أرسطو، كما فيها جوانب أخرى بالقدر الذي تأثر فيه بكل من أفلاطون وجالينوس، واستقى فيها من الشريعة الإسلامية، فضلًا عن تجاربه الشخصية " [195]، ويوضح ابن مسكويه الهدف من كتابـه: تهذيب الأخـلاق " غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خُلُقًا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون كذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك على صناعة وعلى ترتيب علمي " [196]، واهتم ابن مسكويه بالنفس -أيضا- فلكي تقوم الأخلاق على أساس سليم لا بد من معرفة النفس، لأنَّها هي التي تصدر عنها الأخـلاق، ويقول ابن مسكويه "الطريق في ذلك أن نعرف أولا نفوسنا هي وأي شيء هي، ولأَيّ شيء أوجدت فينا، أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي إذا ما استعملناها على ما ينبغي بلغنا هذه الرتبة العلية "[197] النفس جوهـــر مفارق وغير محسوس "جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس "[198]، ويعرفها بأنَّها: جوهـــر بسيط غير مركب وغير محسوس، وهي "ليست بجسم ولا عرض و لا مزاج، بل جوهـــر قائم بنفسه وذاته، غير قابل للموت " [199]، فالنفس جوهر غير قابل للفناء وبعيدة كل البعد عن الحـواس والبدن.

قـــوى النّفس: يقسّـــم ابن مسكويه النّفس إلى ثلاث قوى، حيث يقول: " إنَّها تنقســـم إلى ثلاثة أعني: القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور، والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع وضروب الكرامات، والقــوّة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ التي في المأكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية"،[200] وتتألف النفس من ثلاث قـــوى: القوى العاقلة وتسمّى الملكية ، وهي أشرف وأرقى القوى، ومقرها الرأس وهي قوى التفكير، يميّز بها الإنسان بين الخطأ والصواب، وينفرد بها عن سائر المخلوقات، والقوة الغضبية مقرها القلب وتسمّى - أيضا - السبعية نسبة إلى السَّـــبْعِ، وهي القــوّة الوسطى يكون بها الغضب والإقدام والتغلب على المخاوف، والقــوة الشهوية مقـــرها الكبد وهي القوّة الأقل مرتبة في قـــوى النفس، وتسعى إلى اللذات الحسية والشهوية كالأكل والنكاح. ويبدو تأثير فلاسفة اليونان واضحا، لأنَّ هذا التقسيم لقوى النفس هو تقسيم أفلاطوني.

ويصف ابن مسكويه العاقلة بالأدبية الكريمة، والبهيمة العادمة للأدب الشهوية، والعادمة للأدب قابلة للتغيير النفس الغضبية "كريمة أدبية بالطبع وبعضها مهينة عادمة للأدب بالطبع، وليس فيها استعداد لقبول الأدب، وبعضها عادمة للأدب إلَّا أنَّها تقبل التأدب وتنقاد للتي هي أدبية، أما الكريمة الأدبية بالطبع فالنفس الناطقة، وأما العادمة للأدب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية، وأما التي عدمت الأدب ولكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية، وإنَّما وهب الله تعالى لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية التي لا تقبل الأدب " [201] ، ويجب التوازن وعدم الإخلال بين هذه القوي الثلاث. وأشرف هذه القوي هي " النفس الناطقة والإنسان إنَّما صار إنسانا بأفضل هذه النفوس أعني الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم"[202]، بهذه القوى يصل الإنســان درجة الملائكة ويرتفع عن مرتبة الحيوانات، فالنفس مقامات أشرفها العاقلة وأدناها الحيوانية، والأمر متروك للإنسان وأين يحب أن ينزل "فإن شئت فأنزل في منازل البهائم فإنك تكون منهم، وإن شئت فأنزل في منازل السباع، وإن شئت فأنزل في منازل الملائكة وكن منهم". [203]

الفضائل عند ابن مسكويه: لكل قوى من قوى النفس فضيلة خاصة بها" وجب أن يكون عدد الفضائل بحسب أعداد هذه القوى، وكذلك أضدادها التي هي رذائل" [204]، فضيلة القوة العاقلة الحكمة " فمتى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها إلى المعارف صحيحة حدثت عنها فضيلة العلم وتتبعها الحكمة" [205] وهي أرقى الفضائل.

والقوى البهيمية فضيلتها العفة " ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متأبية عليها فيما تقسطه لها ولا منهكة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتتبعها فضيلة السخاء "[206]، والقوى الغضبية فضيلتها الشجاعة " ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تهيج في غير حينها ولا تحمي أكثر مما ينبغي لهذا حدثت منها فضيلة الشجاعة " [207]. أما فضيلة العدالة فإنَّها تنشأ من اجتماع واعتدال وانسجام الفضائل الثلاث " ثم يحدث من هذه الفضائل الثلاث باعتدالها ونسبة بعضها إلى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة، فلذلك أجمع الحكماء على أجناس الفضائل أربع، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولهذا لا يفتخر أحد ولا يتباهى إلا بهذه الفضائل فقط"[208].

وهذه الفضائل لها أضداد أربع "أضداد هذه الأربع أربع ـ أيضاـ ، وهي الجهل والشر والجبن والجور، وتحت كل واحد من هذه الأجناس أنواع كثيرة "[209] وكل

فضيلة من هذه الفضائل تندرج تحتها فضائل أخرى، ويعرف فضيلة الحكمة" أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة والمميزة، وهي تعلم أن الموجودات كلها من حيث هي موجودة، وإن شئت فقل إن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية ويثمر علمها بذلك، إن تعرف المعقولات أيها يحب أن يفعل وأيها يجب يغفل " [210] وفضيلة الحكمة أعلى الفضائل وأشرفها تندرج تحتها فضائل أخري وهي الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم وقوة الصفاء والذهن وسهولة التعلم، وقال بالوسط الأخلاقي أي توسط الفضيلة بين رذيلتين لا إفراط ولا تفريط، فالحكمة فضيلة وسط بين رذيلتين: السفه والبله " أما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله" [211] ويعرف العفة " العفة هي فضيلة الحسن الشهواني، وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يعرف شهواته بحسب الرأي، أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته" [212] يندرج تحت فضيلة العفة: الحياء والدعة والصبر والسخاء والقناعة... الخ والعفة وسط رذيلتين (الشره وخمود الشهوة)، والشجاعة هي "فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة، واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة أعني أن لا يخاف من الأمور المفزعة، إذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمود"، [213] والفضائل التي تندرج تحت الشجاعة: كبر النفس والنجدة وعظم الهمة الصبر وغيرها، وهي وسط بين رذيلتين (الجبن والتهور) لا إفراط ولا تفريط، أما فضيلة العدالة: فهي " فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل التي عددناها، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستلامها للقوة المميزة " [214] فهي اجتماع للقوي الثلاث، وهي وسط بين رذيلتين (الظلم و الانظلام) وتندرج تحتها فضائل منها: الصدقة الألفة صلة الرحم والمكافأة.. وهذه الفضائل لابد أن نساكن بها الناس ونخالطهم.

يبدو واضحًا تأثير ابن مسكويه بالنفس وقواها والفضائل بأفلاطون، والوسط الأخلاقي والقول بأنَّ الفضيلة وسط بين رذيلتين إفراط وتفريط (الوسط الذهبي) بأرسطو.

الخلق عند ابن مسكويه: يعرف ابن مسكويه الخلق "الخلق حال للنفس داعيه لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدني شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب...ومنها ما يكون بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر

عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا"[215] إذن هناك جانبان للأخلاق جانب طبيعي يرجع إلى المزاج والطبع، وجانب يرجع إلى العادة والتدرب إلى التطبع والاكتساب.

يرى ابن مسكويه أنَّ الخلق يمكن أن يتغير "كل خلق يمكن تغييره وهو بين من العيان، وممَّا استدللنا به من وجود التأديب ونفعه وتأثيره في الأحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله في خلقه"[216]، والدليل ذلك تغيير خلق الصبيان حسب التربية والمجتمع الذي نشأ وعاش فيه، فأخلاق الصبيان تبدو واضحة بدون روية ولا فكر" وخاصة في الأطفال فإنَّ أخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يسترونها بروية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذي انتهى في نشؤه وكماله"[217]، ويجب تغيير هذه الأخلاق وتأديبها وتقويمها؛ لأنَّ الأخلاق إذا لم يتم ترويضها ستبقي هكذا طول العمر" وإذا أهملت الطباع ولم تروض بالتأديب والتقويم نشأ كل إنسان على سوم طباعه، وبقي عمره كله على الحال الذي كان عليها في الطفولة.. في الطباع المذمومة ".[218]

صحيح ابن مسكويه تأثر بأفلاطون وأرسطو، ولكنه يؤكد ضرورة التخلق بأخلاق القرآن الكريم والشريعة الإسلامية "ويدخل تحت الشريعة الحقة التي يلحقها في أيامه ويلزم وظائف الدين، ويتخلق بالأخلاق الجميلة، ويسير بالسير الفاضلة".[219]

الخير والسعادة : يعرف ابن مسكويه الخير "أنَّ الخير على ما حده واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الأخيرة، ويُسمَّى الشيء النافع في هذه الغاية خيرًا"، [220] المتقدمين المقصود أرسطو اقتدى به، فالخير هو الشيء النافع وهو الغاية الأخيرة، والخير عام ومشترك بين جميع الناس، وهو طبيعة تحصل بالإرادة والقصد، فالإرادة هي التي توصل الإنسان إلى الخير.

أقســـــام الخير "منها ماهي شريفة، ومنها ماهي ممدوحة، ومنها ماهي بالقوة كذلك وماهي نافعة فيها، والشريفة منها هي التي شرفها في ذاتها وتجعل من اقتنائها شريفا وهي الحكمة والعقل، والممدوحة منها مثل : الفضائل والأفعال الإرادية والتي هي بالقوة مثل التهئ والاستعداد لنيل الأشياء التي تقدمت، والنافعة هي الأشياء التي تطلب لا لذاتها بل ليتوصل بها إلى الخيرات.. الخيرات منها ماهي غايات لذاتها، ومنها ما ليست بغايات، والغايات منها ماهي تامة ومنها ماهي غير تامة، فالتي هي تامة كالسعادة.. والتي هي غير تامة فكالصحة.. والخيرات منها ما هو مؤثر لأجل ذاته ومنها مؤثر لأجل غيره، ومنها ما هو مؤثر للأمرين جميعا ومنها ما هو خارج عنها"[221]، فالخيرات كثيرة وعلى عدة وجوه "منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الأوقات، ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه... فالله تبارك

وتعالى هو الخير الأول، فإنَّ جميع الأشياء تتحرك نحوه بالشوق إليه "[222] فهناك خير لجميع الناس من جميع الوجوه وهناك شر لجميع الناس من جميع الوجوه، والخير الأول والاسمي الذي يسعي إليه الجميع هو الله، فهو مطلب جميع الموجودات.

السعادة : يعرف ابن مسكويه السعادة" إنَّ السعادة هي أفضل الخيرات، لكننا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغايـــة القصوى إلى سعادات أخرى، وهي التي تكون في البدن والتي خارج البدن " [223] فالسعادة هي الخير وهي الغاية القصوى، لكنها تحتاج إلى سعادات أخرى في البدن وخارجه، ويربط ابن مسكويه بين السعادة وبين الحالة البدنية والنفسية للإنسان ، ويُقسّـــم ابن مسكويه السعادة إلى خمسة أقسام : "أحداها في صحة البدن ولطف الحواس.. ، والثاني في الثروة والأعوان وأشباههما.. ، والثالث في تحسّـــن أحدوثته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل فيكون ممدوحًا بينهم.، والرابع : أن يكون منجحًا في الأمور، وذلك إذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه حتى يصير إلى ما يأمله منه ، والخامس : أن يكون جيّـــد الرأي صحيح سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه بريئا من الخطأ والزلل جيد المشورة في الآراء" [224] هذا تقســـيم أرسطو للسعادة ، والسعيد الكامل هو من تحصل على هذه السعادات كلها " فمن اجتمعت له هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل الفاضل، ومن حصل له بعضها كان حضه من السعادة بحسب ذلك ".[225] ، ويُقسم ابن مسكويه - أيضًا - السعادة إلى روحانية وسعادة جسمانية " الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمي ملائكة، وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام، لأنَّه مركب منهما فهو بالخير الجسماني، الذي يناسب به الأنعام، مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه، حتى إذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي وأقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والأرواح الطيبة"[226] فالإنسان له طبيعة مزدوجة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة وجسمانية يناسب بها الأنعام، فهو مركب من خير جسماني يقيم في العالم السفلي، ولكنه إذا ظفر بالكمال ارتقى إلى العالم العلوي.

وهناك سعادتين سعادة دنيوية وسعادة أخروية، السعادة الدنيوية ناقصة؛ لأنَّها في عالم الحس وصاحبها يتعرض للآلام والحسرات، والسعادة الأخروية صاحبها يتمتع بالخير الأقصى وصاحبها يستنير بالنور الإلهي وخالية من الآلام والحسرات "إحداهما ناقص مقصر عن الآخر وأن المقصر منهما ليس يخلو ولا يتعرى من الآلام والحسرات.. وصاحب هذه المرتبة غير كامل على الأطلاق ولا سعيد تام، أما صاحب المرتبة الأخرى هو السعيد التام، وهو الذي توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بين

الملاء الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمة، ويستنير بالنور الإلهي ويستزيد من فضائله"[227] فالسعادة القصوى يصل إليها الإنسان بالحكمة، ويستنير بالنور الإلهي، ولا يصل إلى هذه السعادة إلا الأعلون مرتبة "إنَّ تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة، وللحكمة جزءان نظري وعملي، فالنظري تحصيل الآراء الصحيحة، وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عن الأفعال الجميلة، وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها"،[228] فالسعادة هي السعادة الأخروية يصل إليها الإنسان بالحكمة، والتخلص من كل العوائق المادية، ولكن الإنسان لكي يصل إلى السعادة الأخروية لا بدُّ أن يمر على السعادة الدنيوية.

التربية عند ابن مسكويه :أكد ابن مسكويه على دور الشريعة الإسلامية في التربية "والشريعة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية، وتعدُّ نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل وبلوغ السعادة الإنسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين أخذهم بها وسائر الآداب الجميلة "، [229] لشريعة دور كبير في تهذيب وتربية سلوك الأطفال حتى يتعودوها " فمن اتفق له في الصبا أن يربي على آدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين.. حتى يبلغ إلى أقصي مرتبة الإنسان فهو السعيد الكامل "[230] فإذا تربى الصبيان على تعاليم الشريعة وعلى كتب الأخلاق، ثم المناهج كلها بالأثر الكبير على النشء وتربيتهم وتهذيبهم.

ويرفض ابن مسكويه الرأي الذي يقول إنَّنا مطبوعون وأخلاقنا لا تتغير، بل يرى أنَّ التربية تغيّر أخلاقنا، والدليل على ذلك سلوك الصبيان الذي يتغير من حال إلى لآخر "بل ننتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعا أو بطيئا"[231] ونفس الصبي كالصفحة البيضاء لم تنقش عليها بعد "نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة وليس لها رأي ولا عزيمة تمليها من شيء إلى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها، فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبدا على حب الكرامة ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال ويلزم سننه وظائفه " [232] كانت اهتمامات ابن مسكويه في التربية شاملة لجميع جوانب الحياة كالآكل والشرب والملبس والمجالس وآداب متنوعة.

هذا عرض للأخلاق عند ابن مسكويه، كان من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالأخلاق والتربية، وخصص لها كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، لا ننكر تأثيره الواضح بأفلاطون وأرسطو إلا أنَّه أقام الأخلاق أيضًا على أصول دينية إسلامية منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية .

ثانيًا -الأخلاق عند الغزالي [233]**:**

أولي الغزالي اهتمامًا كبيرًا بالأخلاق، واهتم بالنفس لأنَّها تعدُّ المدخل الأساسي لدراسة الأخلاق، فهناك ارتباط قوي بينهما، فتأثير العلاقة بين قوى النفس على أخلاق الإنسان يؤكد العلاقة القوية بين النفس والأخلاق، فسيطرة العقل على قوى النفس هو الطريق الوحيد لأخلاق قويمة، فالتأثير السيء والانفعالات على الأخلاق يؤدي إلى فسادها، وسنوضح ماهية النفس وقوى النفس وعلاقتها بالأخلاق.

ويُعرف الغزالي النفس "النفس الإنسانية جوهر روحاني قائم بنفسه لا يتجزأ وليس بجسم ولا منطبع في جسم ولا هو متصل بالبدن ولا هو منفصل عنه " [234] فالنفس جوهر روحاني لا يتغير ولا يتجزأ ولا تشوبه المادة، ويوضح الغزالي أهمية النفس "فنبه على أنَّ الإنسان مخلوق من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالعقل والبصيرة لا الحواس وأضاف جسده إلى الطين وروحه إلى نفسه، وأراد بالروح ما نعنيه بالنفس، منها لأرباب البصائر، أن النفس الإنسانية من الأمور الإلهية وأنَّها أجل وأرفع من الأجسام الخسيسة الأرضية، ولذلك قال – تعالى- **(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)**[235]**"(236)**

تقســيم النفس عند الغزالـــي : يُقســم الغزالي النفس إلى ثلاث قوى، القوة الشهوانيـــة والقوة الغضبية والقوة الناطقة " أما النفس النباتية فهي الكمال الأول لجسم طبيعي إلى من جهة ما يتغذى وينمو ويولد المثل، وأما النفس الحيوانية فهي الكمال الأول لجسم طبيعي إلى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة، وأما النفس الإنسانية فهي الكمال الأول لجسم طبيعي إلى من جهة ما يفعل الأفاعي بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك بالأمور الكلية "، [237] فالقوة الشهوانية وظيفتها الغذاء والمحافظة على النوع، فهذه القوة تعتمد على الشهوة، ويجب أن تنتظم هذه القوة عن طريق العقل والشرع، وإلا تؤدي إلى انحراف خلقي، ولا يمكن قمع أو إماتة هذه الشهوة لأنَّها مفيدة للإنسان" كذلك الشهوة فإن إماتتها عن الجماع عسرة وقاطعة للتناسل الذي به بقاء النوع، وعن الطعام صعب وينقطع به بقاء الشخص "[238] والقوة الغضبية مكانها القلب، والغضب صفة أساسية في الإنسان" أما القوة الغضبية فإنَّها شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع إلا أنَّها لا تطلع إلا على الأفئدة، وأنَّها المستكنة في ضمن استكنان النار تحت الرماد "[239] الغضب موجود في الإنسان منذ ميلاده بالفطرة، والانفعال القوي والثوران شبهم الغزالي بالنار الموقدة على المشركين، ويجب السيطرة عليها عن طريق العقل ، لأنَّها تؤدّي إلى مشاكل وخيمة لا يتقبلها العقل

والشرع، واعتدالها عن طريق العقل والشرع. والقوة الناطقة هي التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات، وتعتمد على العقل الذي يكشف الحقائق "فإنَّ الأذهان كثيرا ما تزيغ عن الجادة، فترى الخطأ صواب والصواب خطأ، ولهذا قيل أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، والتدبير ألا يعتمد عليها ما لم يزنها بالقوانين المنطقية والبراهين"[240] لا بدُّ للقوة الناطقة الاستعانة بقوانين العقل والشرع، حتى تستطيع التمييز بين الصواب والخطأ وتصل إلى سعادة الدارين.

ووضـــــع الغزالـــــي أن لكل قوة من قوى النفس فضيلة أخلاقية خاصة بها، القوة العقلية فضيلتها الحكمة، والقوة الغضبية فضيلتها الشجاعة، والقوة الشهوية فضيلتها العفة، وانسجام هذه القوى يؤدي إلى السعادة، والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية "ونعني بالحكمة الخلقية حالة وفضيلة للنفس العاقلة بها تسوس القوة الغضبية والشهوانية وتقدر حركتها بالقدر الواجب في الإنقاض والاستنباط وهي العلم بصواب الأفعال" [241] وعن طريق اعتدال الحكمة يحصل حسن التدبير "فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة "[242] والحكمة وسط بين بين إفراط وتفريط " الحكمة فيسمي إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجريرة، ويُسمى تفريطها بلها، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة ". [243]

- **الشـــجاعة** : فضيلة القوة الغضبية التي بها يدافع الإنسان عن نفسه ويرد المهالك " الحمية الغضبية وبقهرها وإصلاحها يحصل الحلم، وهو كظم الغيظ وكف النفس عن الخوف والحرص المذمومين في كتاب الله " [244]، وهذه القـــوّة منقادة للعقل المتأدب بالشـــــرع في إقدامها وإحجامها، فعندما يقود العقل المتأدب بالشرع تحصل فضيلة الشجاعة، ومن اعتدال فضيلة الشجاعة تنتج أخلاق حسنة أخري، يندرج تحت فضيلة الشجاعة الكرم والنجدة وكبر النفس والحلم والثبات والنبل وغيرها، ويجب عدم الإفراط بها؛ لأنَّها تهور والتفريط يؤدي إلى الجبن، فهي وسط بين رذيلتين إفراط وتفريط، وهما مذمومتان لأنَّهما زيادة تؤدي إلى التهور، ونقصان يؤدي إلى الجبن، لذلك لابدَّ أن تنقاد للعقل والشرع.

- **العـــفة :** فضيلة القهوة الشهوية "هي الشّـــــهوة وبإصلاحها تحصل العفة حتى تنزجر النفس عن الفواحش، وتنقاد للمواساة والإيثار المحمود بقدر الطاقة " [245]، فهي الشّـــهوة المنظمة وتبعد النفس عن الفواحش، وتنقاد عن طريق العقل إلى الأحسن

"العفة هي فضيلة القــوّة الشهوية، وهي انقيادها على يسر وسهولة للقوة العقلية حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب إشارتها "[246]، فالإنسان ينظــم شهواته ويعدلها عن طريق العقل حتى يصل إلى حســن الخلق، وتندرج تحت فضيلة العفة الحياء والمسامحة والتصبر والسخاء وحسن التقدير والانبساط والدماثة والانتظام وغيرها، وكذلك العفة هي فضيلة بين رذيلتين الشره وخمود الشهوة "الشره هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات، التي تستقبحها القوة العقلية وتنهي عنها والخمود هو قصور الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل تحصيله وهما مذمومتان" [247] فهي وسط بين رذيلتين إفراط في الشهوة وتفريط، إما خمود الشهوة أو مبالغة فيها وكلاهما مذموم، والعفة هي الكمال المحمود بينهما، ومعيار الاعتدال العقل والشرع.

العدالــة: يعرف الغزالي العدل "نعني بالعدل: حالة للنفس وقوة تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضي الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاهما " [248]، هي انضباط القوي الثلاث العقلية الغضبية الشهوية، وانقياد الغضبية والشهوية للعقلية، إذا اعتدلت وتناسبت هذه القوى الثلاث يتم حسن الخلق" فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق: وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوة الثلاث " [249]، فهي ليست قوة قائمة لوحدها ومنفصلة عن باقي القوى، إنما جماع للقوى الثلاث. والعدل ليس وسط بين رذيلتين إفراط وتفريط مثل باقي الفضائل "والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور"[250]، مقابل العدل الجور وهــو نقيض له، ولا بدَّ أن يكون هناك توازن واعتدال بين قوى النفس الثلاث حتى تتحقق السّــعادة، وما نلاحظه من تقسيم الغزالي لقوى النفس وفضائلها والوسط الذهبي التأثير الواضــح لأفلاطون وأرسطو.

الأخــلاق عند الغزالي : اهتم الغزالي بالأخلاق وذكرها في مواضع كثيرة من كتبه، في إحياء علوم الدّين يعرف الأخــلاق "عبارة عن هيئــة في النفس راسخة، عنها تصــدر الأفعال بسهولة ويســر من غير حاجة إلى فكــر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة والمحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"[251] فالأخلاق ثابتة وراســخة في النفس، تصدر عنها بطريقة سهلة وبسيطة من غير تعقيد، والمقياس الذي تقاس به الأخلاق العقل والشرع، فالشرع هو من يحدد إذا كانت حسنة أو قبيحة. وأمهات الأخلاق وأصولها عند الغزالي الفضائل الأربعة "

وأمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل...، فمن اعتدال هذه الأصول تصدر الأخلاق الجميلة كلها"[252]، وحسن الخلق هو التناسب والانسجام بين تجمع قوى النفس الثلاث والعدل مجموع هـذه القوى الثلاث.

وترتبط الأخـلاق عند الغزالي ارتباطا وثيقا بالشرع، فهو معيار الأخلاق الحسنة "وأما حسن الخلق فإن يزيل جميع العادات السيئة التي عرف الشرع تفاصيلها ويجعلها بحيث يبغضها، فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات، وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها وينعم بها "[253]، فالشرع هنا بمثابة الميزان الذي يزن أفعال العبد، فالخلق الحسن يزيل الأفعال التي عارض عليها الشّرع، وعرف حقيقتها فيتجنبها كالمقدورات ينفرها، وفي المقابل يشتاق إلى الأفعال الحسنة ويفضلها.

ويرى الغزالي أنَّ كمال الاعتدال في هذه القوي لم يكن إلا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومن جاء بعده يحاول الاقتداء به، وهم مختلفون ومتفاوتون فبها "لم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -،وكل من جمع كمال هذه الأخلاق، استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا، يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون به في جميع الأفعال" [254]، فيجب الاقتداء بسيد الخلق؛ لأنَّه من اكتمل عنده الخلق الحسن، وكذلك الصديقين الذين اتبعوا الشرع، والابتعاد عن الأخلاق السيئة التي هي سموم وتصل بصاحبها إلى طريق الشياطين "فالخلق الحسن صفة سيد الخلق وأفضل أعمال الصديقين، وعلى التحقيق شطر الدين وثمرة المجاهدين المتقيين، ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدافعة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، والمنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين "[255] يتضح لنا مدى ارتباط الأخلاق عند الغزالي بالشرع، وإن النزعة الصوفية والمجاهدة ورياضة النفس، لها دور كبير في تأسيس الأخلاق.

السّـــعادة عند الغزالـي: يختلف معنى السعادة عند مجموعة من الطوائف " ظنّوا أن السعادة في كثرة المال، والاستغناء بكثرة الكنوز.. وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجميل والمروءة.. وطائفة ظنوا في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير.. هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد عن نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل "[256]، فالسعادة كلها سعادة دنيوية تتعلق بالأمور الدنيوية وبعض الفضائل الحسنة. وهناك من أعرض

عن الدنيا" فأعرضوا عن الدنيا فحســـدهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم في الإعراض حتى انقسموا إلى طوائف، فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة، والأخرة دار سعادة، لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أم لم يتعبدوا، فرأوا الصواب أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا" [257] فهؤلاء رأوا السعادة في قتل أنفسهم للخلاص من الدنيا مثل عباد الهنود، "طائفة أخـــرى: أنَّ القتل لا يخلص بل لابد من إماتة الشهوات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية، وأنَّ السعادة في قطع الشهوة والغضب" [258]، فهذه الطائفة تري السعادة في قتل وإماتة الشهوات " وظـــن طائفة أنَّ المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنَّه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنَّما التكاليف على عوام الحق"[259] ويرى الغزالي كل هذه ضلالات باطلة. ثم بين الغزالي الطريق الصحيح وهو طريق الرسول والصحابة " وإنَّما الناجي منها فرقة واحدة، وهي السالكة ما كان عليه الرسول - صلَّى الله عليه وسلم - وأصحابه، وهو ألا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل.. حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن، أقبل على الله تعالى بكنه همته، واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها، حتى لا يتجاوز حدود الورع والتقوى"[260] فيتعلق قلبه بالله تعالى وبالعبادة والورع والتقوي، إذا تحرر الإنسان من علائق الدنيا والشهوات، وأخذ منها ما يعينه على عبادة الله، وأخذ من الشهوات مالا يتعارض مع العقل والشرع، يصل إلى السعادة الأخروية. " ما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما، وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين، وهو أحب الأمور إلى الله تعالى"[261] ومسلكهم الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط إنَّما الوسط، وكل شيء موزون بميزان العقل والشرع، وهم قدوتنا في ذلك.

التربيـــــــة عند الغزالي: يُعدّ الغزالي من أبرز الفلاسفة والمفكرين الذين اهتموا بالتربية والأخلاق، فقد اهتم بتعليم الأولاد وتربيتهم في كتاب إحياء علوم الدين، وله رسالة خاصة بعنوان (أيها الولد)، كما اهتم بالعلاقة بين المعلم والتلميذ، كان لها بالغ الأثر في التربية الأخلاقية، اهتم التربية بصورة عامة وتربية الصبيان بصورة خاصة "أعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل

نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإنَّ عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وأنَّ عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك" [262] أكد على ضرورة الاهتمام بتربية الصبيان لأنَّهم كالصفحة البيضاء يمكن أن ينقش عليها أي نقش خيرا أو شرا، وهذا النقش يستمر معه ويتربى معه طول العمر، وهذه التنشئة يثاب ويعاقب عليها ويتحمل معه المسؤولية الآباء والمعلمين.

كما أكد على دور المربي في تهذيب سلوك الصبيان، والذي شبهه بالفلاح الذي يعتني بزرعه ليحسن نباته " أعلم أنَّه ينبغي للسالك من شيخ مرشد مرب ليخرج الأخلاق السوء منه بتربيته، شبه فعل الفلاح الذي يقطع الشوك ويخرج النبات الأجنبية بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه، فلابد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله – تعالى - ، وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، وأن يكون عالمًا " [263].

التربية تعدل وتغير وتكمل السلوك، والغزالي يضرب مثال بالبدن لا يخلق كاملًا ويكتمل بالغـــذاء، كذلك النفس تخلق ناقصة وتكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم" وكما أنَّ البدن في الابتلاء لا يخلق كاملًا، وإنَّما يكمل بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، وإنَّما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم "[264].

ويرفض الغزالي القول بأنَّ الأخـلاق لا تقبل التغيير، ويمكن التغيير عن طريق المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، ويستدل الغزالي على إمكانية تغيير الأخلاق بحديث الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ ، وأيضا بتغيير سلوك الحيوان " لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطل الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال الرسول - صلي الله عليه وسلم – " **حســـنوا أخلاقكم**"، وكيف ينكر هذا على الآدمي وتغيير حق البهيمة ممكن " [265]، وأوضـــح الغزالي أنَّ" حســـن الخلق يرجع إلى اعتدال قـــوّة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قـوّة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة ولشرع - أيضا - "[266]، بيـن الغزالي أنَّ هناك طريقين لهذا الاعتدال الأول أنَّ الإنسان يخلق حسن الخلق مند الولادة وهؤلاء هم الرسل، والنوع الثاني يحصل حسن الخلق بالمجاهدة والرياضة " بجود الهي وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع.. الوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب "[267].

هكذا تنوع تناول الغزالي لموضوع الأخلاق، تكلم عن النفس وقواها التي تعتبر المدخل للأخلاق عنده، ثم تكلم عن الفضائل والسعادة وعن التربية وتهذيب الأخلاق، كان فكره متنوعًا وشاملًا لكثير من جوانب الفلسفة الأخلاقية، وترك بصمة في الفكر الأخلاقي بصورة عامة، والفكر الإسلامي بصورة خاصة، فقد كان المعلم المخلص والمربي القدير الذي أنار الطريق أمام البشرية.

يتبين لنا من خلال عرض الأخلاق عند ابن مسكويه والغزالي دور الفكر الإسلامي في إثراء الدراسات الأخلاقية، حيث أقاموا الأخلاق على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية، نحن لا ننكر تأثر الفلاسفة المسلمين بالفكر اليوناني، ويبدو تأثيرهم واضح خاصة أفلاطون وأرسطو، ولكن ليس كما يردد بعض المستشرقين أنَّ الفلسفة الإسلامية نسخة عن الفلسفة اليونانية مكتوبة باللغة العربية، فالقيم الأخلاقية التي نادي بها الدين الإسلامي كالخير والشجاعة والصدق والسعادة والحكمة.. كانت موجودة عند العرب حتى قبل ظهور الإسلام، وقبل أن يتعرف المسلمين على الفلسفة اليونانية، وقبل حركة الترجمة التي ظهرت في العصر الأموي والعباسي، والوسط الأخلاقي أو الوسط الذهبي دعا إليه أيضًا القرآن الكريم والسنة النبوية وأكدوا عليه، ونخلص إلى القول: مهما كان تأثير الفلسفة اليونانية على المفكرين المسلمين تبقى الأخلاق الإسلامية مقيمة على أصول إسلامية وخاصة التربية مصدرها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

الخاتمـة:

نخلص من هذا البحث إلى مجموعة من النتائج:

1- للأخلاق أهمية كبيرة ومنزلة عالية، فهي من المبادئ السامية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها عبر العصور، لما لها من دور مهم في بناء الحضارات والأمم.

2- إنَّ هناك تقارب في المعنى بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، بأنَّ الأخلاق هي السجية أو الطبع أو حال أو هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال الفطرية و المكتسبة، من غير فكر أو روية ويتصف بها الإنسان وتصبح أفعاله حسنة أو قبيحة.

3-الأخلاق هي مجموعة من القيم والمبادئ التي حثّ عليها ديننا الإسلامي ودعانا للتمسك بها لتنظيـــم حياة الفرد والمجتمع، وهي إما أن تكون محمودة وهي التي دعانا إليها وإلى التّمسك بها، أو مذمومـــة وهـــي التي نهانا عنها.

4- اختلف مفهوم الأخـــلاق عند فلاسفة اليونان من مفكر لآخـــر، ومهما تعددّت التعريفات لا تخرج عن كونها أخلاق سعادة، وهذا ما نلاحظه عند فلاســـفة اليونان، فهي الغاية القصوى للحياة التي تطلب لذاتها لا لغاية أخرى.

5- أكّــد القــرآن الكريم على أهمية الأخلاق، فقد دعا إلى مكارم الأخـــــلاق وحث عليها، والابتعاد عن الرذائل من خلال التكرار الوارد في الآيات القرآنية لمكارم الأخلاق وأنواعها كالصدق والصبر والعهد والرحمة والإحسان والأمانة والعفو والإيثار...الخ، وربط الإيمان والتوحيد والعقيدة بمكارم الأخلاق.

6- الخلق الحســـن هو ما فيه نفع للإنسان سواء رغب الإنسان في فعله أو لم يرغب، وهو كل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأفعال الظاهرة والباطنة ويرضاه وخلافه الخلق القبيح.

7- كان الرسول - صلَّى الله عليه وسلم - مثالًا وقدوةً لمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والصبر والرأفة والزهد والحياء، فهو مثال للكمال الأخلاقي البشري، واهتم بإرشاد الخلق وتوجيههم إلى مكارم الأخلاق " **إنَّما بعث لأتمم مكارم الأخلاق** "

8- إنَّ الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية شاملة لجميع جوانب الحياة، فقد أوضحت العلاقة الأخلاقية بين الإنسان وخالقه وتمثلت في الإيمان والعقيدة والعبادة والتصديق به، وعلاقة الإنسان بنفسه وبإرادته ومسؤوليته على أعماله، فالإنسان مسؤول على أفعاله ويحاسب عليها ويثاب ويعاقب عليها، ثم وضحت علاقة الإنسان بالكائنات غير العاقلة كالحيوانات والطبيعة.

9-الأخلاق في الفكر الإسلامي لها مردود ديني وأُخرويٌ، وهذا غير موجود في الفلسفة اليونانية.

10-أكّدت المعتزلة على دور العقل وقدرته على معرفة حسن الأفعال وقبحها، والحسن والقبح ذاتيان في الأفعال، ولم تهمل المعتزلة دور الشرع بشكل كامل في معرفة الحسن والقبح، فالعقل عنده حدود يقف عندها ولا يتخطاها خاصة بالتكليف؛ لأنَّ الشرع هو المخبر عنها وعن أوجه الحق فيها.

11- يتمثل موقف الأشاعرة الأخلاقي، في أنَّ جميع الفضائل الأخلاقية تؤسس على الشرع، فالأخلاق علوم نقلية شرعية.

12- الإنسان خالق أفعاله عند المعتزلة ومسؤول عنها وسيحاسب عليها، وعند الأشاعرة الله خالق أفعال العباد وقالت بالكسب، فالإنسان لديه القُدرة على كسب الحسن والقبح.

13-هناك اختلاف واضح في الجانب الأخلاقي عند المعتزلة والأشاعرة، بل هو اختلاف مذهبـي له علاقــة بالترجيـــح بين العقل والنقل، يجب الرجوع إلى الشريعة الإسلامية ومصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي أوضحت كل شيء يتعلق

بالأخلاق الإسلامية، ولكي يتبيّن دور العقل - أيضا - وما وراء الأفعال من حلال وحرام، ولكي يتـــم التوافق بين العقل والنقل والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وكذلك الجانب الأخلاقي الإنساني.

14-ابن مسكويه كان من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بالأخلاق والتربية، وخصص لها كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، أقام الأخلاق على أصول دينية إسلامية منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية.

15- تنوّع اهتمام الغزالي لموضوع الأخلاق فتكلم عن النفس وقِواها التي تعتبر المدخل للأخلاق عنده، ثم تكلّم عن الفضائل والسعادة وعن التربية وتهذيب الأخلاق، كان فكره متنوعا وشاملًا لكثير من جوانب الفلسفة الأخلاقية، وترك بصمة في الفكر الأخلاقي بصورة عامّة، والفكر الإسلامي بصورة خاصة، فقد كان المعلم المخلص والمربي القدير الذي أنار الطريق أمام البشرية.

16- ضرورة الاهتمام بتربية النشء على مبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّ التعليم في الصغر يؤدّي إلى الانضباط في الكبر.

17- تأثر فلاسفة الإسلام (ابن مسكويه والغزالي) بآراء فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو الأخلاقية، ولكنهم لم يخرجوا على تعاليـــم الدّين الإسلامي الأخلاقية، وأقاموا الأخلاق على أسس دينية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وحاولوا التوفيـق بين أفلاطون وأرسطو والشريعة الإسلامية، وكان لهم دور الفكر الإسلامي في إثـراء الدراسات الأخلاقية بصورة عامة.

التّوصيات:

1 – توصـي الباحثة بضرورة إدخال مادة الأخلاق للتدريس في مراحل التعليم الابتدائية والإعدادية والثانوية، لكي يتعرف الجيل على أخلاقنا الإسلامية، وتدريس مادة أخلاق المهنة لجميع التخصصات الجامعية؛ لما لها من دور فعال المجالات والتخصصات المختلفة.

2- التأكيد على القيم الأخلاقية الإسلامية من خلال وسائل الإعلام والندوات والمؤتمرات العلمية، والإشادة بأخلاقنا الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

3- دراسة الأفكار التربوية عند المفكرين المسلمين وتحويرها والاستفادة منها في التربية الحديثة.

الهوامـــــــش:

1 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ج1، 1982م، ص49-51.
2 -مجد الدين الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1979م، ص 793، مادة خلق.
3 -ابن منظور: لسان العرب، تحقيق نخبة من الأساتذة والعاملين بدار المعارف عبد الله الكبير وآخرون، ص 86-87 مادة خلق
4 -ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، دار صادر العربية: بيروت، 1985م، ص 25-26
5 -الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط1، 1426ه- 2005م، ص934.
6 -ابن سينا: الشفاء قسم الإلهيات، تحقيق إبراهيم مدكور، ج2، د.ت، ص429.
7 -الماوردي: تسهيل النظر وتعطيل الظفر، تحقيق محي هلال سرحان، بيروت، 1983م، ص5
8 -أحمد عمر هاشم: الأخلاق في ضوء القرآن والسنة، دار الفاروق: مصر، ط1، 2006م، ص7
9 -سعيد بن علي القحطاني: الأخلاق في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، ج1، ط1، 1436ه -2015م، ص5.
10 -أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1986م، ص139
11 -السوفسطائيين: هي حركة ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، اعتمدت المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة.
12 -بورتاغوراس: من أهم الشخصيات السوفسطائية (487-420 ق.م).
13 -يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية: مؤسسة هنداوي: مصر، 2017م، ص63
14 -سقراط: فيلسوف يوناني ولد بأثينا (469-399ق.م) أستاذ لأفلاطون حكم عليه بالإعدام بتجرع السم بتهمة الكفر وإفساد عقول الشباب.
15 -يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ذكره، ص70-71.
16 -أفلاطون: فيلسوف يوناني ولد بأثينا (427-347 ق.م) تلميذ سقراط وأستاذ لأرسطو، أسس أكاديمية تشمل جميع العلوم.
17 -عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية الدراسات والنشر: بيروت، ج1، 1984م، ص180.
18 -أميرة مطر: الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية: القاهرة، 1977م، ص 155.
19 -عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ذكره، ص 180
20 -ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر: بيروت، 2007م، ص 51.
21 -أفلاطون: الجمهورية، ترجمة حنا خباز، المطبعة العصرية: القاهرة، 1929م، 167.
22 -زكي نجيب محمود وأحمد أمين: قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي: القاهرة، 2018م، ص 121
23 -يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ذكره، ص115-116
24 -أفلاطون: محاورة فيدون (ضمن محاورات أفلاطون) ترجمة زكي نجيب، مؤسسة الهنداوي: القاهرة، 2022م، ص 108.
25 -أفلاطون: الجمهورية، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، دار الوفاء للطباعة والنشر: الإسكندرية، 4004م، ص121.
26 -أرسطو: فيلسوف يوناني (384-322ق.م) تلميذ لأفلاطون لقب بالمعلم الأول.
27 -أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة، 1924م، ص167-170.

28 -عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ذكره.
29 -أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس مصدر سابق ذكره، ص 178.
30 -ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو وابن مسكويه، دار دجلة: عمان، 2012م، ص 39.
31 -عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة: بيروت، ج1، 2007م، ص 185
32 -أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، مصدر سابق ذكره، ص 225.
33 -المصدر السابق، ص 227.
34 -زكي نجيب وأحمد أمين: قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ذكره ص 154
35 -أرسطو: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، مصدر سابق ذكره، ص 228.
36 -المصدر السابق، ص 244.
37 -المصدر السابق، ص 246.
38 -المصدر السابق، ص 171.
39 -المصدر السابق، ص 171-172.
40 -المصدر السابق، ص 172.
41 – عبد الرحمن مرحبا: موسوعة الفلسفة، مصدر سابق ذكره، ص 125.
42 -سورة الإسراء: الآية 9.
43 -سورة الفرقان: الآية 63-76.
44 -سورة المؤمنون: الآية 1-11.
45 -سورة النساء: الآية 36.
46 -سورة المائدة: الآية 8.
47 -سورة النحل: الآية 90.
48 -سورة ال عمران: الآية 200.
49 -سورة ال عمران: الآية 146.
50 -سورة البقرة: الآية 177.
51 -سورة التوبة: الآية 119.
52 -سورة الزمر: الآية 33 -34.
53 -سورة الحشر: الآية 9.
54 -سورة الإسراء: الآية 34.
55 -سورة الأحزاب: الآية 53.
56 -سورة النور: الآية 27.
57 -سورة الروم: الآية 21.
58 -سورة النساء: الآية11
59 -سورة ال عمران : الآية 159.
60 -سورة الأعراف: الآية 199.
61 -سورة الإسراء: الآية 53.
62 -سورة إبراهيم: الآية 24-25.
63 -سورة فصلت: الآية 34.
64 -سورة البقرة: الآية 195.
65 -سورة ال عمران: الآية 133-134.
66 -سورة النساء: الآية 58.

67 -سورة الشورى: الآية 38.
68 -سورة المطففين: الآية 1-5.
69 -سورة النحل: الآية 5-8.
70 -سورة الحجرات: الآية 11-12.
71 -سورة لقمان: الآية 18-19.
72 -سورة القصص: الآية 39-40.
73 -سورة الحجرات: الآية 6.
74 -سورة الأنعام: الآية 151-153.
75 -سورة ال عمران: الآية 110.
76 -رواه الألباني في صحيح الجامع عن أبي هريرة، رقم الحديث 2833، رواه مالك في الموطأ: كتاب سنن الخلق، باب حسن الخلق رقم الحديث 8.
77 -سورة القلم: الآية 4.
78 -سورة الأحزاب: الآية21.
79 -سورة التوبة: الآية 128.
80 -سورة ال عمران: الآية 159.
81 -سورة الأنبياء: الآية 107.
82 -سورة الجمعة: الآية 2.
83 -سورة البقرة: الآية 151.
84 -سورة الحشر: الآية 7.
85 -سورة يوسف: الآية 108.
86 -البخاري: الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، رقم الحديث 306.
87 - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان الرسول صلَّى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، رقم الحديث 2310.
88 – الترمذي: كتاب الإيمان باب ما جاء في استكمال الإيمان، رقم الحديث 2612.
89 –سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد، رقم الحديث 4259.
90 –سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 204.
91 - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 2002.
92 – سنن ابن داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 4800.
93 سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث 1941.
94 - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، رقم الحديث 1987.
95 – أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 4798.
96 – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والأثم، رقم الحديث 2553.
97 – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث 2588.
98 - جامع الترمذي: باب ما جاء في صنائع المعروف، رقم الحديث 1962.
99 –صحيح البخاري: كتاب الزكاة باب قول الله تعالى (فأما من أعطي واتقى) رقم الحديث 1442.
100- صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، رقم الحديث 1053.
101-فتح البارئ شرح صحيح البخاري: كتاب الآدب، باب قوله تعالى (يأيها الذين أمنوا أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وما ينهي عن الكذب رقم الحديث 5743.
102-صحيح مسلم: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث 2586
103صحيح البخاري: كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2442.

104صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، رقم الحديث 3.
105صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه "إذا كان النوح من سنته، رقم الحديث1237.
106- صحيح البخاري: كتاب الأدب، حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث 6038.
107سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحياء، رقم الحديث 4181.
108–سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، رقم الحديث 1974
109- فتح البارئ شرح صحيح البخاري: كتاب الآدب، باب الحياء، رقم الحديث 5766.
110سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب أورع والتقوى، رقم الحديث4217.
111صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكونه ذلك كله من الإيمان، رقم الحديث 66.
112- صحيح مسلم، كتاب الأنبياء، باب التوصية بالنساء، رقم الحديث 3720.
113- فتح البارئ شرح صحيح البخاري: كتاب الآدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث 5678
114- سنن الترمذي: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، رقم الحديث 2011.
115- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه، رقم الحديث 4778.
116-سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب من سورة الزخرف، رقم الحديث 3253.
117- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق الثلاث، رقم الحديث39، وصحيح مسلم، كتاب باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث 59.
118سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم الحديث 1977.
119– الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، كتاب البر والصلة وغيرهما، رقم الحديث2560.
120- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المؤمنون من لسانه ويده، رقم الحديث9.
121-صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض "، رقم الحديث 6702.
122-صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث6116.
123– ابن ماجه: كتاب الفتن، بقوله تعالى " يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم، رقم الحديث 4016.
124-ابن داود: كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة، رقم الحديث 2567.
125–سورة القلم الآية 4 .
126-سورة التوبة: الآية 128.
127– سورة المدثر: الآية 7.
128– سورة المدثر: الآية 6 .
129– سورة الأحزاب الآية 53.
130سورة الأعراف: 199.
131–سورة الأنبياء: الآية 107.
132- -صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث 6114.
133–سورة يونس: الآية 57 .
134–سورة المائدة: الآية 90 .
135–سورة الشمس: الآية 7-8 .
136– سورة القيامة: الآية 14-15.
137–سورة البلد: الآية 8-10.
138– سورة النازعات: الآية 39-40.
139سورة المعارج: الآية 19-22.

140سورة ص: الآية 26.
141–سورة التين: الآية 5-6.
142–سورة الأعراف: الآية 179.
143– سورة الشمس: الآية 9-10.
144–سورة الإسراء: الآية 13.
145– سورة النجم: الآية 39.
146–سورة الأحزاب: الآية 65.
147سورة النحل: الآية 60.
148–سورة النساء: الآية 78.
149– سميت بالمعتزلة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الإمام حسن، واعتمدت المعتزلة على العقل، وأقيمت مذهبها على النظر العقلي، وقالت بالأصول الخمسة (التوحيد والعدل الوعد الوعيد والمنزلة بين منزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
150– القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة، حققه وقدم له فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1998، ص69.
151–أحمد مجمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف المصرية: القاهرة، ط2، 1992م، ص 45-46.
152–المرجع السابق: ص 49.
153– المرجع السابق: 28.
154– عبد الحي محمود قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام (الواجب والسعادة) دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، 1984، ص 24.
155– الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة زهران، د.ت، ص 371.
156–نوران الجزيري: قراءة في علم الكلام – الغائية عند الأشاعرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 1992م، ص 226 -227 .
157- أحمد مجمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق ذكره، ص 129.
158– سميح دغيم: فلسفة القدر في فكر المعتزلة، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ط1، 1992، ص274.
159– القاضي عبد الجبار: المختصر ضمن كتاب رسائل التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق: القاهرة –بيروت، ج1، ط2، 1988م، ص 239.
160– المصدر السابق: ص240
161– البزدوي: أصول الدين، تحقيق وتقديم هانز بيتر لنس، دار الكتب العربية: القاهرة، 1963 م، ص 108.
162- القاضي عبد الجبار: الأصول الخمسة، مصدر سابق ذكره، ص 67-69.
163–المصدر السابق، ص 70.
164– سورة النحل: الآية 93.
165- أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق ذكره، ص 62.
166– القاضي عبد الجبار: المحيط بالتكليف، حققه عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف، د.ت، ص120.
167– الأشاعرة: فرقة كلامية ظهرت نهاية القرن الثالث الهجري على يد الحسن البصري (ت234ه) قدمت الشرع على العقل، واستخدمت البراهين العقلية والشرعية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية
168– أبو المعالي الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسي وآخرون، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1950 م، ص 258.
169– الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام، علق عليه الشيخ عبد الرزاق العفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع: الرياض، ج1، ط1، 2003م، ص111.
170– سورة الإسراء: الآية 15.

171–سورة النساء الآية: 165.
172سورة الحشر: الآية 7.
173–أبو حسن الأشعري: أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر، تحقيق محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، د.ت، ص 74.
174– محمد الباقلاني: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب لبنان، ط1، 1987م، ص 383-384.
175– عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، د.ت، ج3، ص 268.
176– البغدادي: أصول الدين: مطبعة الدولة استانبول، ط1، 1928م، ص 213.
177- الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مصدر سابق ذكره، ص 372-373
178–سورة البروج: الآية 16.
179–أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق وشرح وتعلق أنصاف رمضان، ط1، 2003م، ص120.
180–المصدر نفسه، ص 120.
181-الشهرستاني: الملل والنحل، دار الكتب العربية: بيروت، د.ت، ص88.
182–فخر الدين الرازي: المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتب العربي: بيروت،ج3، 1407ه-1987م، ص 347.
183–المصدر السابق، ص 348.
184– المصدر السابق ص 347.
185– المصدر السابق، ص 351.
186– - الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، مصدر سابق ذكره، ص -373-374.
187-أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، مصدر سابق ذكره، ص122.
188– الأسفرايني: التبصير في الدين، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، ط1، 1999م، ص 54.
189الأشعري: اللمع، حققه حمودة غرابة، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة، د.ت، ص 69.
190– الجرجاني: شرح المواقف - الموقف الخامس، تقديم وتحقيق أحمد المهدي، الدار الإسلامية للطباعة، د.ت، ص 237.
191– سورة الصافات: الآية 96.
192– سورة فاطر: الآية 3.
193– سورة البقرة: الآية 286.
194- هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (320-421ه) فيلسوف أخلاقي اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق والتاريخ والأدب والإنشاء.
195- أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق ذكره، ص310.
196–ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق ذكره، ص3.
197– المصدر السابق، الموضع نفسه.
198-المصدر السابق، ص4.
199–ابن مسكويه: الفوز الأصغر، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، د.ت، ص37.
200–ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص 13-14.
201- المصدر السابق، ص 44.
202- المصدر السابق، ص 39.
203- المصدر السابق، الموضع نفسه.
204- المصدر السابق، ص14.

205-المصدر السابق، الموضع نفسه.
206-المصدر السابق، الموضع نفسه.
207- المصدر السابق، الموضع نفسه.
208- المصدر السابق، ص 15 .
209-المصدر السابق، الموضع نفسه.
210- المصدر السابق، ص15-16.
211- المصدر السابق، ص22.
212- المصدر السابق، ص16.
213- المصدر السابق، الموضع نفسه.
214- المصدر السابق، الموضع نفسه.
215- المصدر السابق، ص25-26.
216-المصدر السابق، ص28.
217- المصدر السابق، الموضع نفسه.
218-المصدر السابق، ص 29.
219–ابن مسكويه: الفوز الأصغر، مصدر سابق ذكره، ص 67.
220ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص 36.
221- المصدر السابق، ص 64-65.
222- المصدر السابق، ص 65.
223- المصدر السابق، ص 66.
224- المصدر السابق، ص 66-67.
225- المصدر السابق، ص 67.
226- المصدر السابق، ص 69.
227-المصدر السابق، ص 71.
228- ابن مسكويه: الفوز الأصغر، مصدر سابق ذكره، ص68.
229- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، مصدر سابق، ص29.
230- المصدر السابق، ص42.
231- المصدر السابق، ص26.
232- المصدر السابق، ص48.
233- أبو حامد الغزالي (450-550ه، 1058- 1111م) المعروف بحجة الإسلام، كان فيلسوف وأصوليا وفقهيا وصوفي وأشعري من أشهر علماء عصره.
234–أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف: القاهرة، ط4، 1966م، ص 252.
235– سورة الإسراء: الآية 85.
236–أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف: القاهرة، ط1، 1964، ص 199.
237– أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الأفاق الجديدة: بيروت، ط2، 1975 م، ص 21.
238- أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مصدر سابق ذكره، ص 237 -238.
239– أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، مصدر سابق ذكره، ص 82.
240- المصدر السابق، ص 77-78.
241- المصدر السابق، ص86.
242– أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، مصدر سابق ذكره، ص 935.

243– أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، مصدر سابق ذكره.
244- أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مصدر سابق ذكره، ص 233.
245- - المصدر السابق، الموضع نفسه.
246– أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، مصدر سابق ذكره، ص 89.
247- - المصدر السابق، الموضع نفسه.
248- أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، مصدر سابق ذكره، ص 936.
249- المصدر السابق، ص935
250-المصدر السابق، الموضع نفسه.
251- المصدر السابق، ص 934.
252- المصدر السابق، ص936.
253- أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مصدر سابق ذكره، ص255.
254- أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، مصدر سابق ذكره، ص936.
255– المصدر السابق، ص 929.
256- المصدر السابق، ص1131-1132.
257- المصدر السابق، ص1132.
258- المصدر السابق، الموضع نفسه.
259- المصدر السابق، ص1132- 1133.
260- المصدر السابق، ص1133.
261- المصدر السابق، الموضع نفسه.
262- المصدر السابق، ص 1955.
263– أبو حامد الغزالي أيها الولد، اللجنة المركزية بمركز دار المناهج والدراسات والتحقيق العلمي: بيروت، ط2، 1435- 2014 م، ص36-37.
264- - أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مصدر سابق ذكره، ص259.
265- أبو حامد الغزالي: أحياء علوم الدين، مصدر سابق ذكره، ص 937.
266- المصدر السابق، ص 940.
267- المصدر السابق، الموضع نفسه.